

شريف أسعد

# حواديت السعادة

رواية



## إهداء

إلى تلك المرأة التي مهّدت الطريق بالنجاح طوال الوقت، إلى الأم وقت أن  
أحتاج أُمًا، إلى الصديقة وقت أن أحتاج صديقة، إلى الابنة وقت أن أحتاج  
ابنة،

إلى المرأة المصرية

إلى زوجتي

«أنا حلو»،

لا مش شكلاً،

أنا!!!! حلو يا جماعة !!،

يا جدعان لا، مش أخلاقاً برضه، ربنا يكرمكوا

أنا، أنا!!!! حلو

أنا اسمي حلو، نعم؟؟ إنت اسمك أحلى!!! ربنا يبارك لك فيه يا حبيبي، يا

رب ارحمني

اسمي في شهادة ميلادي «حلو»، أبوة، أبويا وأمي سموني حلو، ياااه، أخيراً

فهمتوا؟؟! صح ، اسمي حلو، أنا حلو

اسمي بالكامل؟؟؟ ضروري يعني!!!

ما كفاية حلو وخلص يا جماعة!! لازم؟؟؟

أمري لله،

اسمي الثلاثي،

حلو جميل خالص

إممم، واضح إنه مقيش فايدة،

تعالوا احكيلكم الحكاية

\*\*\*\*\*

في ذلك الفراش الوثير وفي صباح يومٍ شتويٍّ شديد البرودة، تقلّب «حلو» وقد ارتفع صوت غطيطة ليرجُ جدران الغرفة التي تسلك ضوء الصباح الخافت إليها من وراء ستار النافذة التي توسطتها، بينما حملت باقي جدران الغرفة تلك الصور التي احتلت الكثير من المواضع العشوائية فوقها، وظهر «حلو» فيها جميعًا مبتسمًا مع نفس الفتاة التي تظهر إلى جانبه في كل صورةٍ من تلك الصور.

كان «حلو» شابًا في نهايات العقد الثالث من العمر، متوسط الطول، يتسم جسده بالاعتدال والرشاقة، بينما كانت ملامح وجهه تدعو إلى الابتسام، لم يكن هناك سببٌ معيّن، ولكن قسماته كانت دائمًا تُصيب من يُراقبها بنوبةٍ من الضحك، وخاصةً مع بداية أيّ تعارفٍ أو صداقةٍ قد تحدث في تلك اللحظة التي يقدّم فيها نفسه إلى من يُواجهه قائلاً بكلّ سعادةٍ وثقة:

«أنا حلو»

ربّما كانت تلك القسمات مع طريقة الحديث الواثقة بالإضافة إلى اسمه الذي صرع الكثيرين ضحكًا بلا وعيٍ سببًا مباشرًا للعلاقة التي نشأت بينه وبين تلك الفتاة الجميلة في أيام الجامعة، حيث درسا سوياً في كلية الآداب، قسم الوثائق والمكتبات.

تلك الفتاة التي توطدت علاقته بها يوماً بعد يوم، ممّا زادهما قرباً في كل لحظةٍ يقضيانها سوياً.

تحركت مشاعرهما بشكلٍ متبادلٍ دون تدخلٍ من أي شخص.

كان «حلو» يعتمد تماماً على ما يمتلك من كاريزما مُبهجةٍ وطريقةٍ ساحرةٍ في كل تعاملاته، كان شخصاً تلقائياً للغاية.

لم يكن يبذل أدنى مجهود يُذكر لنشر الابتسامَة على وجوه الجميع من حوله، وكان لظهوره في أي مكان أثرٌ قويٌّ يظهر جليًّا في ارتفاع صدى قهقهة الضحكات من حوله، وخاصَّةً صوتها هي....

«سعادة»

نعم، اسمها «سعادة»

كان اسمها بمفرده مدخلًا للسرور وإرسال البهجة في أعماق قلبه، هكذا كان يراها دومًا.

حبّبة عمره، وطريق حياته، التي أصبحت بعد مرور سنواتٍ عدَّةٍ وسط كفاح الحياة وتخطّي العديد والعديد من الصعوبات والمعوقات، زوجته.

تلك الجميلة التي لم تكن الابتسامَة تغادر وجهها حتى في أثناء نومها في بدايات زواجهما، كانت «سعادة» رائعة القوام، مُشرقة الوجه، يزداد شكلها جمالًا وتأنقًا وإثارةً مع تلك العُويّنات الرفيعة التي ترتديها، والتي تختفي نهايات أطرافها بداخل ذلك الشعر الأسود الطويل المنسدل وكأنه يحرس ابتسامتها، ويقود تلك الابتسامَة إلى الشخص الوحيد الذي يستحقّها، «حلو».

كانت تلك الصورة الدائمة التي يراها بها، منذ عرفها، أروع لحظاته حين كانت

تقف بدلالٍ في طُرقات الجامعة تنتظره آنيًّا من بعيدٍ، بجسدٍ رشيقٍ ممشوقٍ مثيرٍ يسرق أنظار المُحيطين، وهي تُلوح له بذراعٍ مرتفعٍ، مناديةً بقوةٍ حتى يراها:

«حلو»

«يااا حلووووو»

«يا حلوووووووووووووووووووو»

«اصحى بقى طلعت عين أُمي يا أخي»

استيقظ «حلو» مفزوعًا على زُغدٍ في كتفه سبَّب له ألمًا قارصًا لثوانٍ معدودةٍ، جعله يُحدِّق في ما حوله بذهولٍ، وكأنه يُطالع تفاصيل الغرفة لأول مرةٍ في حياته، نظر إلى ذلك المُنبّه الذي يُجاوره للحظةٍ والذي أشار إلى السادسة صباحًا، مع صوت المذياع القادم من المطبخ الذي اختفت تفاصيل ما يُردِّد نتيجةً لوقوعه المُتكرِّر فبدا ما يصدر منه وكأنها همهمةٌ حوتٍ أزرقٍ جائعٍ في قلب المحيط، ثم ما لبث «حلو» أن عاود النظر إلى مصدر الزُغد مرةً أخرى

«سعادة»

التي وقفت تنظر إليه بغضبٍ وقد قمت رأسها بقطعةٍ من القماش على نفس طريقة الهنود الحمر لحظة خروجهم لمواجهة الغزاة الأمريكيين في بدايات الزحف على أراضيهم، لم يكن ينقصها إلا قليلٌ من ريشات الديوك الرومي فوق الرأس وخطّين متوازيين من برطمان الصلصة لكي تخطّهما أسفل العينين ليتّم تنصيبها زعيمةً للأباتشي وتبدأ على الفور في ممارسة مهامّ عملها بقيادة معركة تحرير الشاطئ الشرقيّ للقارّة بجداريّة، هكذا رآها «حلو».

ولكنه ما لبث أن نفّض الفكرة عن رأسه خاصّةً مع خطوات ابتعادها عائدةً إلى المطبخ مرّةً أخرى محدّثةً فحيحًا مرعبًا نتج عن احتكاك خُفّيه بالأرض، راقب «حلو» ذلك الخصر الذي عرفه في الماضي، والذي تغيّر مع مرور الزمن وامتلاً بالدهون على مرّ السنوات الخمس التي قضياها سوياً منذ زواجهما.

ثم بدأ في شعائر طقوسه الصباحية قبل النهوض من فراشه الدافئ، بضع دقائق من الهرش في الرأس، يليها دقيقةٌ أو يزيد من محاولة الهرش في الظهر، ثم بعض الهرش في الكتف، وأخيراً، هرش متواصلٍ مكثّف في البطن والأجناب والأرداف أثناء قيامه من الفراش وحتى وصوله إلى الحمام.

شرع في حلّقة ذقنه سريعاً وتبعها بغسل وجهه ورأسه، وخرج وهو يُجاهد في تجفيف رأسه بمنشفةٍ ممتلئةٍ بالمياه، وصاح وهو ما زال يضع رأسه داخل المنشفة البيضاء:

- يعني إنتي مش قادرة تحطّي فوطه ناشفة بعد ما تتشطفي الصبح؟؟ لازم أصحى ألاقى الفوطه عايمة نوغة في المية!!!

صاحت «سعادة» من داخل المطبخ وهي مُنهمكةٌ في مطاردة صرصارٍ صغيرٍ، دفعه حظه العائر ليخرج في وقتٍ خاطئٍ ليُفاجأ بها:

- كان في فوطه ثانية ورا باب الحمام، وفوطه تالته على باب الأوضة وأنت خارج تتغنر رايح الحمام، وفوطه رابعة على حرف السرير مكان ما سبتها امبارح بالليل زي كل يوم يا قنصل مدينة الوز.

انصت «حلو» بوجودٍ، ورأسه مازال مُختفياً داخل المنشفة وهو يفكر سريعاً في ردّ مناسبٍ، ولم يجد ما يُجيبها به، فقال باقتضابٍ مُبتلعاً جُملاً من الاعتراض كانت في طريقها من المُخ إلى اللسان ولكنه وجدها ضعيفة الحجة:

- نهايته، يا ريت الفطار بس عشان عاوز أنزل.





بعض، خصوصًا، خصوصًا...

صمت «سعادة» وقد أطرقت برأسها، وخفت صوتها تدريجيًا، ممَّا زاد حدة التوتُّر لدى «حلو»، الذي قال مُحتدًا:

- خصوصًا إيه يا سعادة؟؟؟ ها؟؟؟ اتكلمي؟؟؟ قولِي بقي أي كلام، إعملي من الحبة قُبَّة، وأشيل أنا الطين مش مهم، ها يا «سعادة» يا حبيبتي؟؟؟ خصوصًا إيه؟؟؟

ظهرت علامات التأثر الحقيقي على وجه «سعادة»، وبدأ بريق دموعها في اللمعان في طرفي مُقلتيها، وهي تجيب بخُفوتٍ:

- خصوصًا من ساعة موضوع الحمل.

ظهرت علامات التوتُّر على وجه «حلو» الذي ردَّ بسرعةٍ في مُحاوَلَةٍ منه لأخفاء هذا التوتُّر، وإنهاء الموقف بشكلٍ مُضحكٍ:

- سعادة، أنا قتلتك مية مرة، أنا مش حامل.

صدرت ضحكةٌ قصيرةٌ من فم «سعادة» على الرغم منها بينما دموعها قد بدأت تسيل على وجنتيها بصمتٍ، فأكمل «حلو» بسرعةٍ محاولًا الخروج من

الموقف:

- أو تصدِّقي؟ يمكن أكون حامل فعلاً والعصبية دي نتيجة هرمونات زائدة عندي في الشهور الأولى باين!!

خرجت ضحكةٌ أخرى من «سعادة» ولكن هذه المرة أقوى من سابقتها، ونظرت إليه والدموع تنسال من عينيها بينما الحزن ظاهرٌ تمامًا على ملامح وجهها، ولكن «حلو» لم يمهلهما الكثير من الوقت، فأكمل قائلاً:

- هو تفتكري حُبي للبيض المسلوق أكثر من المفقوش ده وحم؟؟ والا ده عادي؟؟

ضحكت «سعادة» ضحكةً عاليةً طويلةً هذه المرة، ممَّا رسم على شفتي «حلو» ابتسامةً حاول إخفائها ببراعةٍ لتبدو على ملامحه علامات الجِدَّة التي جعلت «سعادة» تزداد ضحكًا لدقيقةٍ أخرى، صمت خلالها «حلو» تمامًا إلى أن قال لها في النهاية بهدوءٍ ممتزجٍ بالحنان:

- إيه بقي على الصبح؟؟؟ في إيه بقي؟؟

نظرت له «سعادة» بابتسامةٍ حزينةٍ، ثم قالت بخُفوتٍ:



- عارفة أنك كان نفسك في الخلفة، وعارفة إن ده سبب كل مشاكلنا دلوقتى، بس، بس أنا أسفة والله يا حلو، ما كنتش أعرف إنى ما بخلفش.

وبدأت الدموع تتراكم في عينيها مرةً أخرى وكأنها ستخلق سيلاً، فقاطعتها «حلو» قائلاً:

- أولاً، مين قال إنك ما بتخلفيش؟؟ الزوفلوميط دكتور اللي رحناهم وهبروا دم قلبنا، قالوا إن معدل الخصوبة والتبويض عندك ضعيف، ما قالوش غير كدة، وقالوا إن الحمل ممكن يحصل في أي وقت، ولو مستعجلين قوي يعني ممكن نعمل عملية حقن مجهري طبيعي ونسبة نجاحها مرتفعة جداً، إيه بقى الفيلم الهندي الهابط اللي انتي عاملاه ده؟؟

- أنت ناسي أننا حالتنا المادية ما تسمحش بالعملية دي خالص يا حلو؟؟؟ الموضوع مش سهل زي ما أنت بتحاول تبسطه، أنت عارف، وأنا عارفة، وكمية المنشطات اللي أنا باخدها عشان زيادة الخصوبة هي اللي مبهدلة جسمي ومخلياني عمالة أزيد في الوزن وأنا تقريبا ما بأكلش.

قاطعتها «حلو» بحركة مسرحية وهو يقفز من فوق كرسيه مُلوّحاً بالمنشفة مرةً أخرى:

- والنبي انتي ما عارفة أي حاجة في أي حاجة، أنا أصلاً بحب الكلابيط يا بطة، أنا حاخذ الشاي بالنيلة اللبن وأخش الحمام خليني الحق أنزل أروح الشغل. ابتسمت «سعادة» ابتسامةً هادئةً وكأنها تعلم تمامًا أنه يحاول الهروب من الحديث كما يفعل في كل مرةٍ، وقالت له وكأنها تُسايره:

- طب والبيض المفقوش؟؟

- الوحم يا سعادة، مش قادر اشم ريحته خالص، بطني قلبت، عندكيش جُعضيض أو حتة مخلل؟؟!!

ضحكت «سعادة» ضحكةً عاليةً مُجلجلةً وهي تحاول بها إزالة كل التوتر الذي صاحَبَ الدقائق الماضية، في الوقت الذي اتَّجه فيه «حلو» إلى الحمام وهو يحمل كوب الشاي باللبن ويحمل أيضاً على وجهه علامات حزنٍ مكبوتٍ.

\*\*\*\*\*

أسرع «حلو» الخطى عبر الرواق الطويل إلى مكتبه داخل مبنى دار الكتب والوثائق القومية، ذلك المبنى المُطل على كورنيش النيل برملة بولاق، والذي يحوي بداخله ملايين من الوثائق والمخطوطات والبرديات النادرة التي يعود تاريخ العديد منها إلى أكثر من ستة آلاف سنةٍ ويزيد.

كانت عقارب الساعة في يده تشير إلى الثامنة إلا بضع دقائق صباحاً، حين دلف إلى غرفته التي تضم عدداً من المكاتب الإدارية الخاصة بزملائه في العمل ممن يشاركونه الغرفة نفسها.

كان «حلو» أول من يصل إلى مكتبه كالمتعاد، فقد كان من القلائل في هذا المكان الحكومي الذين يعيشون عملهم، ويقدرونه تمام التقدير.

جلس إلى مكتبه وهو يتذكر رفضه التأمّ الالتحاق بكليةٍ أخرى غير كلية الآداب على الرغم من أن مجموع درجاته في الشهادة الثانوية كان يؤهّله بسهولة ويسرٍ للالتحاق بكليةٍ أخرى يُطلقون عليها كليات القمة، يعتقد الجميع أنها أوفر حظاً في مجالات العمل مُستقبلاً، وكان على رأس هؤلاء الناس والداه اللذان عارضاه بشدة لاختياره لمثل تلك الكلية، وظلاً فترةً طويلةً يحاولان بشتى الطرق توضيح مساوئ مستقبلها وفرص العمل المحدودة التي تكاد تقترب من الانعدام، وفرصه الضئيلة في الحصول على عملٍ مشرفٍ يساعده على تحمّل مشاق الحياة وتكوين أسرةٍ وفتح بيتٍ، ولكنه صمّم على هذا الاختيار رغم هذه المعارضة الشديدة التي وصلت في بعض الأحيان إلى حدّ الزجر والنهر والوعيد، وبالفعل، والتحق «حلو» بتلك الكلية، واختار الانتساب إلى قسم الوثائق والمكتبات تحديداً لولّيه الشديد بالكتب والمخطوطات والتاريخ الوثائقي، ممّا جعله مُتفرّداً بين أقرانه من الدارسين، ومتفوقاً بشكلٍ لافتٍ خلال رحلته الدراسية، التي توجّها بالتخرج حاصلاً على تقدير امتياز، وهو الأمر الذي دفع إدارة الجامعة إلى مطالبته بأن يكمل دراسته الأكاديمية داخل جدران هذا الصرح التعليمي ليُصبح مُعيداً، ولكنه أبى ورفض بهدوءٍ مكتفياً بهذا القدر الأكاديمي، وقد دفعه ظمأه الشديد ورغبته

في خوض التجربة العملية إلى السعي وراء وظيفة تقربه من هوائته وعشقه الأوحده.

وكانَّ القدر قد استجاب لمجهوداته وسعيه الحثيثين طوال أعوامٍ وأعوامٍ من الاجتهاد والمثابرة، حين استطاع أحد أساتذته تركيته بشدة في أروقة الوزارة ليتَّم وضع اسمه على رأس لائحة المقبولين للعمل الحكومي في دفعته.

تذكر سنوات الوظيفة الأولى الدؤوبة، وتذكر كفاحه لسنواتٍ في العمل بقوةٍ وتقليله لنفقاته لأقصى درجةٍ ممكنةٍ فقط لكي يستطيع تدبير إيجار بيتٍ مستقلٍّ وأدخار مصاريف زواجه من الإنسانية التي تنتظره منذ سنوات، «سعادة».

ابتسم حين تذكرها وهو يعلم أنه الآن قد حقق جزءًا كبيرًا من حلمه، وها هو يعمل بالفعل وسط ما يعشق، يُطالع يوميًا عشراتٍ وعشراتٍ من الكتب والوثائق التاريخية، ويعمل بقوةٍ وحُبٍّ على توثيقها بكلِّ وسائل التوثيق الحديثة.

كان لحبه الشديد لِمَا يقوم به وإقباله الدائم عليه برحابة صدرٍ أُنزُ مميزٌ على ملاحظة رؤسائه لهذا الكدِّ والاجتهاد في العمل، فلاقى منهم جميعًا

كلَّ التشجيع، وكان دائمًا محطَّ اختياراتهم لأداء بعض المهام التي تستحقُّ الاهتمام وتستدعي خبرةً ومهارةً ممَّا زاده سعادةً ورضًا.

قطع جبل أفكاره دخول «عصام عبدالراضي» زميله في العمل وهو يلهث بشدةٍ إلى المكتب.

كان عصام شابًا في نفس عمر «حلو» تقريبًا، أصلع الرأس، بدينًا بشكلٍ واضحٍ، تحمِّل ملامحه قدرًا من الطيبة وتدلُّ ملبسه على أنه من طبقةٍ جيدةٍ، نظر إلى «حلو» وهو يشرع في الجلوس قائلاً:

- صباح الفل يا عم النشيط، أنت يا ابني بتبيع لبن وتطلع على الشغل؟! ابتسم «حلو» دون أن ينظر إليه وهو يردُّ قائلاً:

- صباح العسل يا عم الكسول، أنت اللي بتخلص قدرة الفول وتيجي.

نظر إليه «عصام» بعد أن ارتمى فوق مقعده بتعبٍ وعلى وجهه ارتسمت اندهاشة مصطنعة، وهو يقول:

- كسول؟؟ يا راجل دي الساعة ثمانية وعشرة بالطبط.!! اومال اللي حيوصل بعد كدة حتقول عليه ايه؟؟

- أنت كسول، اللي حيجي بعد كدة حيقى دبدوب.

- آآآه دا انت رايق بقى على الصبح وجي تهرج أصلاً، ده موضوع ثاني.

- لا والله يا عصام، ولا رايق ولا حاجة، بالعكس، أنا مصدع ومتضايق شوية.

نظر إليه عصام هذه المرة باندھاشة حقيقية، ثم ما لبث أن بدأ بالتراجع بجذعه مرتكزاً على مقعده، ماداً يديه ضارباً الهواء في حركاتٍ مسرحيةٍ تدلُّ على أنه يعاني رعباً كبيراً وهو يقول:

- مين ده؟؟ انت متضايق؟؟ حلو، متضايق؟؟ انت مين يا راجل انت؟؟؟ وعملت ايه في صاحبي؟؟؟ انطق، انت اكيد مخلوق فضائي، فين صاحبي يا جدد انت، خطفتوه في الفضاء يا جهناء؟؟؟؟ طيب كنتوا خدوني معاه والنبي فسحوني معاه.

ابتسم «حلو» ابتسامةً هادئةً وهو ينظر إلى مكتبه دون أن يرفع نظره إلى «عصام» وقال بخفوتٍ دون أن تفارقه الابتسامة:

- الدنيا ما بتديش كل حاجة يا عم عصام، ما انت عارف.

اعتدل «عصام» في مَجْلِسِه وتبدلت ملامح وجهه وبَدَتْ عليها علامات

الاهتمام الحقيقي، وهو يقول بهدوءٍ متسائلاً:

- موضوعك انت وسعادة برضه!!!

أوما «حلو» برأسه إيجاباً ببطءٍ دون أن ينطق والابتسامة الخافتة الحزينة لا تزال على شفتيه، بينما لم يُشِحْ بنظره عن ذات النقطة التي تسمُرت فوقها عيناه فوق مكتبه قبل دخول «عصام»، وكأنها بؤرة مغناطيسية تجتذب نظراته لا يستطيع أن يَحِيدَ عنها، ممَّا دفع عصام إلى استكمال كلامه:

- حلو، انت وسعادة اخواتي، انت يا عم شغال معايا بقالك فوق العشر سنين، قبل ما تتجوزها أساساً، ولازم تفهم إن الموضوع ده مش بإيدك ولا بإيدها، دي حاجة بتاعة ربنا يا معلم، وبعدين يا أخي انت قلتلي كثير قوي إن «الزوهروميت» دكتور الـ...

قاطعه «حلو» بسرعةٍ قانلاً:

- زوفلوميظ اسمها.

ابتسم «عصام» ابتسامةً واسعةً، وهو يُكِمِّل:

- الزوفلوميظ دكتور يا سيدي، قالوا لكم إن مفيش حاجة عضوية أو مشكلة

عويصة تمنع الحمل، فلزام يكون عندك أمل انت وهي أكثر من كدة شوية،  
وتفضلوا تحاولوا بانتظام، هو انا اللي حقولك يا حلو؟؟ دا انت سحابة بتمطر  
علينا سيول أمل يا ابني، انت مش محتاج اني أقولك ده، انت عارف.

أخذ «حلو» شهيقاً طويلاً بطيئاً، ثم أفرغه دفعةً واحدةً بزفرةٍ قويةٍ سريعةٍ،  
وكانه يُفرِّغُ معها كلَّ التوترِّ والحزنِ من داخل صدره، ثم حركَ يديه الكامنتين  
فوق المكتب وهو ينظر إلى «عصام» قائلاً بابتسامةٍ حزينة:

- ربنا يسمع منك يا عصام، ربنا يسمع منك.

قطع حديثهما وصول اثنين من الزملاء إلى المكتب ليتبادلا تحية الصباح مع  
«حلو» و«عصام»، مع قليلٍ من المداعبات وسريعاً امتلأت المكاتب الأربع  
في الغرفة بموظفيها، وبدأ يوم العمل، كالمعتاد.

\*\*\*\*\*

ارتفع رنين الهاتف الأرضي في المنزل، وهرولت «سعادة» من داخل المطبخ  
لتجيب النداء وهي تشرع في تجفيف يديها من أثر المياه والصابون بقطعة  
ملابسٍ داخليةٍ قديمةٍ تخص «حلو»، بينما بللت المياه جزءاً لا بأس به من  
ملابسها، التقطت سماعة الهاتف بسرعةٍ وهي تجيب:

- الو.

جاءها عبر الجانب الآخر صوت والدتها التي تتصل بها بشكل يومي في مثل  
هذا الوقت من كل يوم، لتطمئن عليها ويبدأ في الحديث حول أمورٍ مكررةٍ  
لا تملأن أبداً من تكرارها:

- الو، أيوة يا حبيبة أمك صباح الفل.

- صباح النور يا ماما.

- البلياتشو نزل والا لسة بيتنططلك على حبال الغسيل؟

- ماما، لو سمحتي قولتلك بلاش كدة، أنا أصلاً مش ناقصة وتعبانة.

- تعبانة؟؟ من إيه يا قلب أمك؟؟ هو المخفي نكد عليكى؟؟ زعلك؟؟ عمل

حاجة اللي ينقرص في قاولونه ده؟؟

- ماما، مفيش حاجة حصلت، وبلاش بقى الطريقة دي وبلاش الكلام ده على

حلو لإنني فعلاً بتضايق وانت عارفة كدة كويس.

- عارفة، عارفة وساكتة وشايلة في قلبي ومكتومة، كله بسبب منبع الغم اللي

انتى وابوكي بليتونا بيه، أنا عارفة، ابوكي كان طول عمره يحب يتفرج على

السيرك وما صدق شاف البلياتشو ده وجوزهولك ووافقك على طول، اااااه يا مُري، اكيد منكك عليكي، اكيد.

- يا ماما لأ، حلو مالوش دعوة، بقولك مفيش حاجة، انا بس صاحبة تعبانة وشكلي داخل عليا دور برد، شوية وحابقي كويسة، مفيش حاجة يا مامااااا.

وكالعادة، لم تقتل هذه الإجابة فضول الأم اللوح التي كانت مصممة على أن تُعاود السؤال حتى لو وصل بها الأمر إلى إعادته ألف مرة، إنه حلو بكل تأكيد، لا داعي للمراوغة، هكذا تسير الأمور في الدنيا، ولسوف تظل الأم تتساءل حتى تصل في النهاية إلى السبب الحقيقي الذي تجد عليه ابنتها هذه اللحظة، وهو الأمر الذي تعلمه «سعادة» جيداً، وتعلم أن أمها بشكل أو بآخر لا تمنع الإصرار بالسؤال حتى وإن قضت ما تبقى من حياتها على الجانب الآخر من الهاتف فعاودت السؤال قائلة:

- بقى بزمك ودينك ما نكدش عليكي انهاردة؟! ما غمش نفسك أكنك واكله رغيف بابا غنوج حمضان؟! ده ما فردش وشه من يوم ما اتجوزك غير مرتين ثلاثة اما الأهلي كسب بطولة أفريقيا، ده محتاج فرع شجرة تتحط في ركن البيت ويطلع يزعى عليه زي البومة.

تحول صوت «سعادة» بسرعة إلى غضب عارم متصاعد، انفجر في أذن والدتها من خلال سماعة الهاتف لتصرخ بكل قوتها ويرتج جسدها انفعالاً:

- يا ماما قتلتك مفبيش، مفبيش، مفبيش حاجة، حرام عليكم بقى ما تضغطوش عليا اكتر من كدة كفاية اللي انا فيه بقى، لو في حاجة حقول يا ماما، ولو مش عاوزة اقول مش حقوول يا ماما، حرام عليكم بقى، حرااااااا.

وتركت السماعة لتسقط من يدها وتستقر إلى جانب قدمها، بينما دفنت وجهها في راحتيتها وأجهشت ببكاء عميق قوي، وفوق فخذها امتد سلك سماعة الهاتف التي خرج من طرفها مهمة أمها غير المفهومة والتي تدل على أنها ما زالت مُصرّة إصراراً رهيباً على معرفة سبب حزن «سعادة»!

\*\*\*\*\*

أشرف يوم العمل على الانتهاء، ولم يتبق من الوقت سوى دقائق على موعد انصراف الموظفين، بينما انهمك «حلو» في كتابة تقرير حول إحدى المخطوطات التي تسعى دار الكتب إلى توثيقها باليكترونيا بواسطة أجهزة المسح الرقمي الحديثة التي لا يوجد مثيل لها في الشرق الأوسط كله، والتي قامت مكتبة الكونجرس الأمريكي بإهدائها إلى مصر لتوثيق هذا التراث



الإنساني والحضاري الذي يُعدُّ الأكبر على مستوى العالم بلا منازع، وذلك حين دلف «عصام» إلى المكتب وهو يحمل بعض الملفات قائلاً:

- حلّو، الأستاذ أحمد عبد النبي عاوزك!!

ارتفع رأس «حلّو» وانعقد حاجباه بدهشة وهو يقول:

- الأستاذ أحمد عبد النبي!!؟ غريبة! عاوزني أنا؟؟ طيب مكلمش الرئيسة ليه!!؟  
يا ترى وكيل الوزارة شخصياً عاوزني في إيه؟؟ على آخر اليوم كدة، استر ياللي بتستر يا رب، هو يوم مدوحس من أوله.

أردف «عصام» بسرعة:

- يا عم يعني حيكون عاوزك في إيه؟ قوم بسرعة روح شوف الراجل عاوز إيه وانت تعرف.

أغلق «حلّو» تقريره دون أن يُكلمه، ونهض من مكتبه وبدأ في تعديل هندامه باهتمام وهو يستقل المصعد متجهاً إلى الطابق الأخير في المبنى حيث ينتظره الأستاذ «أحمد عبد النبي»، الذي استقبله بترحاب وبشاشة، وعلى الرغم من حالة الرهبة التي تملكت «حلّو» في البداية، لفارق السن والمستوى الإداري الكبير، إلا أن الرجل استطاع بخبراته وسماحته الكبيرتين أن

يكسر هذا الحاجز ويتجاذب أطراف حديث ودّي لطيف خارج سياق العمل مع «حلّو»، الذي بدأ مع مرور الدقائق يشعر بالارتياح، ولكن هذا الارتياح لم يُخف أبداً نظرات التساؤل والفضول في عينيه حول ماهية استدعائه بهذه الطريقة، وفي مثل هذا الوقت، وهي النظرات التي شعر بها الأستاذ «أحمد» بخبرة سنواته الكبيرة، وكانت سبباً في ابتسامته المستمرة التي حاول من خلالها ادخال شعور الطمأنينة على قلب «حلّو»، واتبعها بقوله:

- ها بقى يا حلّو، أخبار الشغل إيه؟

ابتسم «حلّو» ابتسامة واسعة وهو يردُّ بأدب واهتمام:

- الحمد لله يا فندم، كل شيء ممتاز بفضل توجيهات سعادتك.

- يعني مبسوط في الشغل هنا؟

- يا فندم مش بس مبسوط، انا كمان مُستمع وسعيد جداً والله.

ابتسم الأستاذ «أحمد» ابتسامة أبوة، وهو يقول:

- عارف يا حلّو، انت بتفكرني بنفسي زمان وأنا في سنك، كنت بحب الشغلانة دي قوي، المكان ده يا حلّو، مش عاوز موظفين، ده عاوز اصحاب مزاج عالي،



ناس يتحب الشغل ده، مش بتأديه بس.

ابتسم «حلو» وقد تفهم المغزى من كلمات الأستاذ «أحمد» وعاود النظر باهتمام وكأنه يطالبه بمزيد من الإفصاح عن سبب استدعائه، فأردف الأستاذ «أحمد» مُكَمِّلاً:

- احنا عندنا موقف مهم محتاجين فيه حد زيك يا حلو، حد زيك انت بالذات.

بَدَتْ علامات الاهتمام على وجه «حلو» وهو يقول:

- أوامر يا فندم، تحت أمرك.

ابتسم الأستاذ أحمد ابتسامة هائلة وهو يعاود الحديث:

- الموقف اللي محتاجينك فيه، موقف كان بيتطلب منا نختار شخصية معينة، شخصية مهتمة ومؤمنة بشغلها، ويتحبه، وتخاف عليه، زيك كدة يا حلو.

أطرق «حلو»، والابتسامة لم تغادر شفتيه وهو يقول:

- يا فندم كلام حضرتك شرف ليا فعلاً، وانا في منتهى السعادة بالإشادة دي.

أكمل الأستاذ «أحمد» قائلاً:

- دي مش مجرد إشادة يا حلو، دي متابعة لسنوات طويلة، وتقارير بتترفع لينا، واختيارات دقيقة لناس معينة، عندها خبرات محددة، ودراسات أكاديمية مخصصة، واهتمام حقيقي وحب للتاريخ والوثائق، وانت عندك كل ده من واقع تواجدك معنا هنا الفترة دي كلها، انا عارف ده، عشان كدة، الوزير وافق على طلبي اللي وصيت عليك فيه بنفسي، انك تكون مندوب دار الكتب في الموضوع ده.

بدا الاهتمام مُقْتَرِناً بالتردد على وجه «حلو» مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ قد تَمَّ انتدابه للعمل في أي شيء يُعْبِده عن التعامل المباشر مع الوثائق والمخطوطات، ولكن توتره لم يَطُلْ كثيراً، حيث أكمل الأستاذ «أحمد»:

- انت يا حلو حتكون مندوب دار الكتب في حصر المخطوطات الأثرية الجديدة اللي اكتشفناها في غرفة سرية تحت متحف دار الكتب القديم اللي في باب الخلق.

بَدَتْ الدهشة على وجه «حلو» وهو يكرّر السؤال بحذر:

- غرفة سرية؟؟

أكمل الأستاذ «أحمد» حديثه قائلاً:

- أبوة، غرفة اكتشافها من حوالي خمس سنين، والوزارة تكتمت على الخبر في الوقت ده، وحافظت على السر تمامًا لحد ما نكون جاهزين دلوقتي نعمل الحصر للغرفة دي.

صمت «حلو» للحظات قبل أن يسأل:

- طيب مين حيكون في اللجنة يا فندم معانا في الحصر؟

أسرع الأستاذ «أحمد» بإجابته:

- لا لا، لجنة ايه؟، اللجنة دي حا تتكون بعد الحصر، الموضوع لسة في طي الكتمان، احنا عاوزين نعمل حصر ميدني بعدد الكتب الأول وبعدين نشكل لجنة لرفع المحتويات ونقلها هنا عشان التوثيق والدراسة وباقي الشغل بتاعنا، المهم ان في البداية عاوزين نعمل الحصر ده في هدوء بعيد عن الإعلام والكلام ده.

نظر «حلو» إلى الأستاذ «أحمد» لوهلة، ثم بادر بسؤاله:

- طيب يا فندم معلى، سؤال، انا مين حيوصلني للغرفة دي وحضرتك بتقول إنها سرية ومحدش يعرف عنها حاجة؟

ابتسم الأستاذ «أحمد» لسؤال «حلو» الذي يدل على أنه في غاية التركيز وأن الموضوع بالفعل قد استرعى اهتمامه، ثم قال:

- الحج محمد العازي.

نظر له «حلو» نظرة تساؤل، مما جعل الأستاذ «أحمد» يكمل قائلاً:

- الحج محمد العازي موظف قديم جدا في متحف دار الكتب آخر سنة ليه في الشغل السنة دي قبل المعاش، حيكون في انتظارك بكرة الصبح عشان يساعدك في الوصول للمكان، وهو الوحيد في المتحف اللي يعرف مكان الأوضة.

صمت «حلو» وعلى وجهه علامات التفكير، وما هي إلا لحظات قليلة حتى سأل بادئ:

- بس يا فندم مش ممكن التعامل في الموضوع ده في فترة النهار، يخلي الموضوع عرضة إلى إنه يخرج من نطاق السرية المفروض؟!

نظر الأستاذ «أحمد» إلى «حلو» نظرة إعجاب وهو يقول:

- واضح إننا ما غلطناش أبداً إننا اخترناك انت بالذات للمهمة دي، كلامك

بيوضح تمامًا إنك مهتم بتفاصيل الموضوع، مش مجرد مهمة وظيفية حتأديها وترجع مكتبك، طبعًا عندك حق، عشان كدة اتفارقنا مع الحج محمد العزازي إنك تكون موجود معاه آخر النهار، وما تبتدوش شغل غير بعد مواعيد العمل الرسمية، بعد انصراف كل الموظفين اللي شغالين في المتحف.

أوما «حلو» برأسه متفهّمًا، ثم قال متسائلًا:

- طيب يا فندم، الوقت المحدد للموضوع ده قد أيه؟

أجاب الأستاذ «أحمد» بهدوء:

- الموضوع ده مهم يا حلو، خد وقتك، اعتبر نفسك في مأمورية مفتوحة لمدة أسبوع مبدئيًا من أول بكرة، ولو الموضوع محتاج أكثر من كدة، قولي وكمل المأمورية، المهم، تخرج من البيت على هناك، وتخلص شغل قبل النهار ما يطلع، وتروح بيتكم، اعتقد أسبوع حيكون كفاية للحصر المبدئي وتقدر تعمل تقرير أولي، وبعد كدة نشوف خطة حصر طويلة الأجل.

تردّد «حلو» قليلًا قبل أن يقول بخفوت:

- أيوة يا فندم بس، الريسة، أنا ما أخذتش موافقتها ولا قلت لها حاجة لسة

وعايب...

قاطعهُ الأستاذ «أحمد» بحزم، قائلاً:

- أنا كلّمت الريسة خلاص يا حلو وفهّمتهّا إنني محتاجك في مأمورية خاصة بالوزارة ضروري، من غير تفاصيل وأخذت الإذن.

ابتسم «حلو» ابتسامته البشوشة، قائلاً:

- خلاص يا فندم، اعتبر الموضوع منتهي إن شاء الله، من بكرة حاروح أقابل الحجّ محمد العزازي وأبدأ شغل، وإن شاء الله أنهّي الموضوع ده في أسرع وقت ممكن.

اقترب منه الأستاذ «أحمد»، وربّت على كتفه قائلاً:

- عارف إنك قدها يا حلو، وعشان كدة اخترتك بالذات للموضوع ده، بالتوفيق يا ابني، خللي بالك، الموضوع مش سهل أبدًا.

ابتسم «حلو» وصافح الأستاذ «أحمد» مع تبادل عبارات الشكر والامتنان والوعد ببذل أقصى الجهد، وخرج من مكتبه ودقّات قلبه تزداد سرعةً من فرط الإثارة، مع كلّ خطوةٍ يخطوها.

\*\*\*\*\*

صعد «حلو» الدرج إلى شقته بهمة ملحوظة، مُرتقيًا درجات السلم بسرعة، ثم دخل إلى منزله وهو يُطلق صغيرًا مميّزًا يدلُّ على أنه رائق البال ويشعر بسعادة غامرة، على غير عادته في سنواته الأخيرة التي تبدَّل فيها حاله رويدًا رويدًا حتى بات صامتًا أغلب الوقت، هادئ الطباع، غابت عنه روح الدعابة التي كانت تجري في عروقه مجرى الدم منذ نعومة أظفاره.

كان يعيش لحظات لم تتكرَّر منذ سنواتٍ طويلةٍ للغاية، كان يشعر بالسعادة بالفعل، وكان إحساسه بأنه يعيش تلك اللحظات بحدِّ ذاته يزيده سعادةً، لذا ترك لنفسه الاستمتاع كاملاً بتلك اللحظات.

وما إنْ أغلق باب المنزل وراءه، حتى التفت ليجد «سعادة» تجلس في كرسيِّها تملؤه بلا حراك، وهي تنظر إليه نظراتٍ دهشةٍ وارتياحٍ كبيرتين، حتى إنَّه تلعثم وهو يخاطبها قائلاً:

- بسم الله الرحمن الرحيم، سلامه عليكم، مالك قاعدة كدة يا روعي؟

حدَّقت فيه لوهلةٍ قبل أنْ تُجيب بنبهةٍ غريبة:

- روحك!! ممم، وعليكم، السلام، ورحمة، الله، وبركاته.

ثم التزمت الصمت وهي تُرَبِّيه كالصقر، بينما وقف يتطلَّع إليها وهو لا يفهم

سرَّ جلوسها في مواجهة الباب وسرَّ تلك النبذة المُخيفة التي رَدَّتْ بها، فكَرَّ أنْ يسألها ثم شعر أنه لا داعٍ، تردَّد، ثم حسم أمره في النهاية مُتسائلاً:

- خير يا سعادة يا حبيبتي، إيه اللي مقعدك في وش الباب كدة؟؟ انتي قافشة فار جبلي من اللي بتطارديهم في المطبخ، وجري على الصالة وخايفة يفتح الباب ويُخرج؟؟ هاهاهاهاه، هاهاه، ها.

قضم ضحكته التي خرجت على الرغم منه بلهاءٍ لا تُنَمُّ للموقف بصلةٍ، بينما ظلَّت ترمقه بنظرةٍ ثابتةٍ لم يُبدِّ عليها إطلاقاً أنها قد استمعت لحرفٍ واحدٍ مما قال، مما جعله يتوتر قائلاً في محاولةٍ لإزاحة هذه اللحظات:

- يا ترى، ياااااا هل ترى، عملنا ايه من ايدك الحلوين دول النهاردة يا بطبوطة انتي يا كلبوطة يا كرونباية حياتي؟؟؟ كرونباية انتِ، وربنا، مش كدة؟؟؟ يا كرومباية، كروووومبة، هاهاهاهاه، هاهاه، ها.

ضحكةٌ بلهاءٍ أخرى قضمها بعد أنْ شعر أنه مُصْطَنِعٌ للغاية، وكانَّ «سعادة» قد تحوَّلت إلى تمثالٍ من الرخام وهي ترمقه بنظرةٍ لا تزيغ، وعلى وجهها علامات الاندهاش المخلوط بالاتهام، مما جعل «حلو» هذه المرة يُجزم بأنَّ هناك كارثةً ما قد حلَّت عليه، ولكنه لا يعلمها بعد، لقد كان في حالةٍ مزاجيةٍ

رائعة ولا يؤدُّ أبدًا أن يُعكِّر صفو هذا الاحساس أي شيء يُنْغِص عليه تلك اللحظة، فقال بهدوءٍ حذرٍ:

- هو، ان شاء الله، بإذن الله تعالى يعني، خير ان شاء الله يا رب، في حاجة يا سعادة يا حبيبتني؟؟

نظرت إليه سعادة وقتًا طويلًا بذات النظرة، مرَّت عليه كالدهر، دون أن تحرك ساكنًا من مكانها، ثم أجابت بهدوءٍ:

- انا اللي محتاجة إجابة على السؤال ده يا حلو، هو في حاجة؟؟؟

بدَتْ على وجه «حلو» علامات عدم الفهم ليتساءل:

- في حاجة ازاى يعني؟؟ مش فاهم السؤال، فين السؤال؟

ازداد انعقاد حاجبي «سعادة» وهي تقول:

- انت عارف بقالك كام سنة ما سمعتكش بتصفرف؟؟ عارف بقالك كام سنة بتخش ترمي السلام اكنك بترميهِ على ناس قاعدة على قهوة وانت معدي وتخش اوضتك تغير وتاكل وتنام من غير كلمتين على بعض؟؟ عارف بقالك كام سنة ما هزرتش معايا حتى قبل النوم!!!!

توتر «حلو» للحظات وهو يُفكِّر في المأمورية التي أدخلت على قلبه الفرح، وبالطبع حاول أن يُخفي تلك السعادة عن «سعادة»، فالأمر لا يزال سرًّا، في طيِّ الكتمان كما وعد الأستاذ «أحمد»، وهو عادةً لا يتحدث في تفاصيل عمله مع «سعادة» منذ زواجهما، ولن يغيّر هذه العادة الآن، بحث في رأسه عن إجابة مُقنعة، ولكنه لم يجد، مما دفعه إلى القول:

- عادي يعني يا سعادة، ده انا طول عمري يعني لذيد وسكر ولطيف وقمر، وبعدين ما انتي عارفاني من ايام الجامعة، هو مين اللي كان بيضحكك على طول ومضحك أمة لا إله إلا الله، ما هو أنا، حصل ايه يعني؟!

نظرت له «سعادة» بتوجُّسٍ، وهي تُحدِّق فيه مُحاولَةً سبر أغواره، ثم قالت:

- شكلك كدة انهارة، مش مطمئني، مش عاجبني.

انعقد حاجبا «حلو» مع شعوره أنها قد لاحظت تلك التغيرات التي صاحبت شعوره بالفرح لمهمته الجديدة، وشعر بالحنق أنها تملك دائمًا تلك القدرة على معرفة ما يُخفيه من مشاعر، فأجاب بتوترٍ:

- ليه يعني؟؟؟ في بُقع مثلية في وشي؟؟ حصة؟؟ داخل من باب الشقة على ثلاث تحت مثلاً؟؟؟ وإلا صاحب معايا كائن فضائي مريخي أخضر من غير

دماغ؟؟؟ هو إيه اللي شكلي مش عاجبك ده؟!!

ولكنْ محاولاته لم يُكتب لها النجاح، وظهر ذلك جليًا على وجه «سعادة» التي عاودت سؤاله:

- أنت ناسي إنك نازل النهاردة الصبح، وبوزك، والله أكبر، اللهم لا حسد، أطول من بوز العربية الكاديلاك موديل سنة سبعين؟؟ يا ترى ايه اللي مهوي على مراوحك قوي كدة ومخليك راجع مبسوط ويتصفر لحن اغنية «وبقولك ايه تجيش نعيش»؟

أجاب «حلو» بتوترٍ وسرعة:

- ده مش لحن «وبقولك ايه تجيش نعيش» على فكرة.

- لا هو لحن «وبقولك ايه تجيش نعيش».

- والمصحف الشريف يا سعادة ما لحن «وبقولك ايه تجيش نعيش».

- يا حلو، أنا سمعاه بوداني هو لحن «وبقولك ايه تجيش نعيش».

بدأ «حلو» في الانفعال مع إصرار «سعادة»، فقال بصوتٍ بدأت نبراته في الاحتداد:

- انتي بتسمعي أي كلام يا سعادة، وأنا بقولك إنه مش «وبقولك ايه تجيش» نترفت، نعيش» خلاص بقى.

- هو اللحن، لما تعمل ايه، أنا متأكدة.

توقّف «حلو» وقد بدأت الدماء تتصاعد إلى رأسه، وأشار بكلتا يديه إلى أعلى، وهو ينظر إليها بغضبٍ مستنكر:

- إيه ده؟؟؟ آآآآآآآآآآ، هو انهاردة تلاتاشر في الشهر؟؟؟ مش تقولي من الصبح، انا كنت ناسي يا شيخة، تصدقي ظلمتك، فهمت فهمت، ده يوم النكد الشهري بتاعنا، انتي عاوزه تتخانقي، معلىش ما اخدتش بالي، هيا بنا، هيا بنا نبدأ فقرات نكد الفيل البتسواني المأسوف على شبابه.

احمرّ وجه «سعادة» وهبت من كرسيها واقفةً بحدة، وهي تقول بصوتٍ بدأ في الارتفاع:

- الفيل اللي بتتريق عليه كان غزال قبل ما يدخل بيتك، وطبعًا محاولتك إنك تغير الموضوع مش حتنفع يا حلو.

أردف «حلو» صائحًا:







قطاعها «حلو» باقتضاب:

- انا ماليش عمة اسمها فأتن عايشة في البرازيل، عمتي فأتن في الكويت.

صرخت «سعادة» بكل قوتها قائلة:

- لLLLLLLLLLLLL، ما تجننيش، مين اللي مخلياك مبسوط قوي كدة؟؟ انطق

ما تجننيبيش.

أجاب «حلو» بسرعة ممتزجة بالغضب ونبرة صوته تتسم بالضجر:

- ان شالله اطفحها لو كانت حاجة من اللي في دماغك، «مخيلاني» ايه

وزفت ايه؟؟ هو انا ناقص قرف اصلاً، حد يتهيب يفكر كدة ثاني؟؟؟ دا انا

بقالي خمس سنين من السرير للحمام للشغل للسرير ثاني، ده أنا وحشتني

البلكونة، أنا مش طايق نفسي في الأساس، ارحمني بقى يا شيخة.

أشاح «حلو» بوجهه، ملوَحاً بيديه بغضب وضجر بينما توقفت «سعادة»

فجأة، وعلى وجهها علامات صدمة بأيسة، تحجرت الدموع في مُقلتيها وهي

تنظر إليه للحظات، قبل أن تقول بخفوت:

- بقيت قرف خلاص دلوقتي يا حلو؟ سعادة اللي مستحمة وشايلة المُر ده

كله، السنين دي كلها، ومستنيك، ومستحملك، بقت قرف؟!

صمت «حلو» تمامًا وهو يستند إلى ظهر أحد المقاعد في المنزل دون أن

يلتفت إليها، مما جعلها تُردف مكملة:

- إنما أنت عندك حق، خلاص، سعادة اللي ضحت واللي استحملت ما بقتش

سعادة بتاعة زمان، لا الشكل ولا الطبع ولا أي حاجة، حتى مش عارفة تجيب

لك الولد اللي نفسك فيه من يوم ما اتجوزنا من خمس سنين.

انتفض «حلو» ملتفتاً وكأنما ضربته صاعقة، وهو يصيح بغضب هادر قائلاً:

- الخلفة الخلفة الخلفة، إيبيبيبه!!!، انتي كل شوية حتكندي علينا بسبب

الخلفة؟؟ ما خلاص بقى، ارحمني وارحمي نفسك، حاولنا ومش عارفين بقالنا

سنين، خيلنا بقى نعيش في الهم اللي احنا فيه واحنا مستحمليين وساكتين،

ارحمينا بقى، ارحميينا وارحمي نفسك.

وهنا فقط، أطلقت «سعادة» لدموعها العنان بصمت، أخيراً باح «حلو» عن

مكنوناته دون أن يشعر، مما جعلها تقول:

- فعلاً يا حلو، هو هَمّ وعاشين فيه، فعلاً، لا بتتكلم ولا بنشوف بعض تقريباً

الا صدف، انت صاحي وانا نايمة، وانا نايمة وانت صاحي، اللي كان ممكن

يجمعنا ويخلينا نستمر، مش مكتوب له انه يكون موجود.

توقفت «سعادة» للحظة، قبل أن تقول بنبرة إصرار وعناد:

- أنا ماشية يا حلو، ماشية وساية البيت، هاروح لأمي، على الأقل حاكون متأكدة انها مش حتبقى عايشة معايا في هم.

لم ينبس «حلو» ببنت شفة، وهو يستمع إليها، ففي داخله كان يوافقها في كثير مما قالت عن سبب تفاصيل حياتهما التي أصبحت مملّة، بالفعل مسألة الأولاد لها عامل كبير فيما وصلت إليه حياتهما من توتر وفقر، ولكنه أيضا كان يحبها بالفعل، ماذا يفعل؟؟ ماذا يفعل؟؟

كرامته وكبريائه كرجل، منعاه من أن ينطق في تلك اللحظة، وكان سكوته إيذاناً لها ببدء التحرك الفعلي.

في خلال دقائق، كانت «سعادة» قد انتهت من تحضير حقيبة ملابس خفيفة لها، وأبدلت ملابسها، لتفتح باب المنزل، وتصفقه وراءها بعنف، بينما جلس «حلو» في طرف المنزل، دون حراك، وفي داخله تتصارع ألف رغبة بين اللحاق بها، وتركها بضعة أيام حتى ينتهي من مأموريته على الأمور تهدأ قليلاً، وفي النهاية تملكته رغبة اليأس في اللحاق بها، فجلس بلا حراك، بينما تبتعد

«سعادة» عن المنزل في طريقها إلى منزل والديها القريب من منزلهما،

ودموعها تعكس ضوء شمس المغيب بصمت.

\*\*\*\*\*

الاتجاه إلى مأموريته التي يجب أن تبدأ بعد موعد انصراف العاملين في  
متحف دار الكتب.

جلس «حلو» قليلاً وهو مُطرق الرأس، تبدو على ملامحه علامات الحزن  
والإرهاق، ولكنَّ عقله الباطن ظلَّ يرسل إليه مبررات لتجنب هذا الحزن على  
شاكلة:

«يعني هو أنت أول واحد مراته تسبب البيت شوية، يا عم كبير مخك»  
«معلش، اهو أسبوع تراح فيه شوية من نكد الفيل البتسواني المأسوف على  
شبابه المُستمر»

«مراتي مسافرة وحأعمل حفلة بس يا ريت ما تجيش على غفلة»  
نفذ «حلو» رأسه بعنف، وكأنه يحاول أن يُسقط منها تلك الأفكار، في الوقت  
الذي شعر قلبه بمرارة حقيقية حين تذكَّر «سعادة».

في الحقيقة لم يعتدَّ أبداً عدم وجودها، كانت له كل أركان حياته، كانت تملأ  
عليه دنياه.

قفز عقله الباطن مرةً أخرى وهو يصوِّر له «سعادة» قائلاً:

٣

استيقظ «حلو» مُنتفضاً على صوت المنبه الذي أشارت عقاربته إلى الحادية  
عشرة صباحاً، مما جعله ينتفض مجدداً وهو يحذِّق فيه بذهولٍ وعقله يصرخ  
بأنه قد تأخَّر عن موعد العمل، واعتدل في مجلسه فوق الفراش مُسرَّعاً  
منتفضاً، وهو ينادي بصوت منزعج:

- حرام عليكم يا سعادة الساعة حداشر، انتي بتستهيلي؟! سايباني نايِم كل  
ده؟!!

ولكنَّ «سعادة» لم تُجِبْ هذه المرة، مما جعله يسترجع ما حدث أمس  
ليتذكَّر أنها ليست في المنزل لأول مرةٍ منذ زواجهما، وأنه من قام بضبط  
توقيت استيقاظه لأول مرةٍ في تاريخ عمله على هذا التوقيت، بعد أن قرَّر

«اه طبعاً، لازم تملأ عليك دنيتك وآخرتك، انت مش شايف بقت اذ ايه؟؟ انت وش فقر شكلك»

نهض «حلو» من طرف فراشه وهو يزفر بغضبٍ وكأنه يحاول النيل من عقله الباطن الذي يُلقي إليه بتلك الأفكار الشريرة على الدوام، حاله حال كل الأزواج الرجال.

أتجه إلى الحمام ليغتسل كما يفعل كل يوم، امتدّت يده ليسحب المنشفة، فوجدها جافةً عكس كل يوم، حيث دأبت «سعادة» على تركها مبللةً بالماء.

شعر «حلو» بغصةٍ في حلقه، وحزنٍ يعتصر قلبه، غصةٍ ما لبثت أن تصاعدت بسرعة، ليتخذ في أعماقه قراراً نهائياً منتصراً على عقله الباطن، قراراً بأنه سوف يعود مع «سعادة» للمنزل بعد انتهاء اعمال مأموريته الليلة، الليلة وليس غداً، سيذهب إليها، سيُطِيبُ خاطرها ببعض الكلمات الضاحكة كالعادة، ستتبدّل في البداية، لها كل الحق، ثم ستحوم أمها حولهما كطائر العنقاء الذي يبحث عن فريسةٍ، هكذا أخبره عقله الباطن، حقاً إنها المرة الأولى التي يوافق عقله الباطن على ما يلقي إليه من كلماتٍ هذا الصباح.

سيحاول «حلو» ضبط النفس مع أمها رغم الاستفزازات كما كانت قوات

الشرطة تحاول مع المعارضين، وفي النهاية، لا بأس إن انطلقت رصاصةً طائشةً استقرت في رأس أمها، قضاء وقدر، والإجابة جاهزةً، «إحنا ما عندناش خرطوش»، لكم سيكون سعيداً، سوف يبذل كل شيءٍ حتى يعود مع «سعادة» إلى منزلهما.

بدأ الشعور بالراحة يعود تدريجياً إلى كيان «حلو» مع شعوره بأنه افتقدتها بالفعل، لم تمرّ ساعاتٌ إلا وكان قد افتقدتها، لا شك، إنه يحبها بالفعل.

أكمل «حلو» ارتداء ملبسه على عجلٍ، وفي تمام الثانية عشر والنصف ظهرًا، خرج من منزله بعد أن وضع بعض اللقيمات من الجبن في فمه رأساً من داخل الثلاجة، متوجّهاً إلى متحف دار الكتب، حيث ينتظره عملٌ شاقٌ، ومثيرٌ.

\*\*\*\*\*

لهث الأستاذ «محمد العزازي» وهو يسرع الخطى نحو بوابة الأمن التي تتواجد على مدخل متحف دار الكتب، حيث ينتظره «حلو» حسبما أبلغه رجال الأمن

كان الأستاذ «محمد العزازي» رجلاً في بدايات العقد السادس من العمر،

طويل القامة رفيع الجسد، تبدو على ملامحه علامات النشاط والكد والعمل، حليق الذقن، أشيب الرأس، ورغم الوصف الذي يبدو في مجمله دالاً على المشيب إلا أنّ الرجل كان شعلّة نشاطٍ وحيويّة وتطلُّ من نظرات عينيه علامات الذكاء والتركيز.

استقبل «حلو» بترحابٍ وبشاشةٍ، واقتاده إلى داخل المتحف حيث أشارت عقارب الساعة إلى الثانية والنصف عصرًا، وهو يسأله:

- قالولي إنّ اسم الكريم حلو، وقعدت فترة طويلة عقبال ما استوعبت، يا ترى الاسم بالكامل ايه؟؟؟

- ضروري يعني يا أستاذ محمد؟؟؟

ابتسم الأستاذ «محمد» وهو يتوقّف في منتصف الطريق ويلتفت إلى «حلو» متسائلاً:

- هو ايه اللي ضروري يا ابني؟ هو سر لا سمح الله؟؟؟ انا جايايالي التعليمات إن الأستاذ حلو جي في مأمورية معينة، ومحدث يعرف عنها حاجة، حتى زي ما شفت ، لا سجلنا اسمك في كشوف الأمن ولا حاجة، إنما أنا ما اتعودتش غير إني آخذ احتياطي دايمًا وأعرف بتعامل مع مين، المواضيع دي مهمة

جدًا بالنسبة لي، دي أثار بلد يا ابني مش لعبة.

ابتسم «حلو» بتفهّمٍ وهو ينظر إلى الأستاذ محمد قائلاً:

- الله ينور عليك يا أستاذ محمد، أنا بس اسمي عاملي مشكلة من زمان ومش عاوز اشغلك بيها.

نظر إليه الأستاذ «محمد» وهو يقول:

- مشكلة؟؟؟ في اسمك؟؟؟ خير يا ابني؟؟؟ هو اسمك عيب؟؟؟!!

- لا، اسمي جميل.

- طيب طالما جميل، ما تقول عليه.

ابتسم «حلو» مداعبًا وقد اعتاد مثل هذا الارتباك الذي يسببه لكل من يسأل عن اسمه:

- ما أنا بقول جميل اهو.

- ايوة يا ابني، خلاص عرفت إنه جميل، إن شاء الله يطلع جميل، اسمك بقى حلو ايه؟؟؟

- جميل يا أستاذ محمد.

بدأ وجه الأستاذ «محمد» بالتغير، وظهرت عليه بوادر الانزعاج، مما دفع «حلو» إلى الإسراع في حل الموضوع قبل أن يتفاقم مع الشيخ الكبير، أسرع يستخرج البطاقة من محفظته، ويناولها للأستاذ محمد الذي نظر إليها برهة، ثم انفجر ضاحكاً حتى كادت شرايينه تنفجر، استند إلى كتف «حلو» وهو ما زال يقهقه، إلى أن ختم ضحكاته التي استمرت قرابة دقيقتين بفقرة من السعال المتواصل، بينما «حلو» يبتسم وهو ينظر إلى سقف المتحف غير مُبالٍ وقد اعتاد على مثل هذه الأمور منذ أن وُلد.

وأخيراً تماسك الأستاذ «محمد» وهو ينظر إلى «حلو» ويده ما زالت تحتل نفس الموضع على كتفه قائلاً:

- تصدق بالله، أنا مضحككش كدة من زمان يا ابني، ومن أول دلوقت، انا مش «الأستاذ» محمد، انا اسمي الحج عزازي زي ما كل القرييين بيقولولي.

ابتسم «حلو» وهو ينظر إلى الحج «عزازي» الذي ظهرت في نظراته تطلعات أبوية، بينما واصل السير إلى حيث مكتب الحج «عزازي» ، حيث جلسا ليتبادلا أطراف الحديث حول تاريخ المكان، وتواجد الحج «عزازي» منذ أكثر من أربعين عاماً في خدمة هذا الصرح، مروراً بكثير من المواقف والبطولات

والذكريات التي تملأ أرجاء المكان.

كان «حلو» مستمعاً جيداً، لم يشعر أيُّ منهما بمرور الوقت، إلى أن نظر الحج «عزازي» في ساعته وقال:

- يااه! الساعة بقت خمسة ونص، الوقت سرقنا، كدة مفيش حد في المتحف من الموظفين خالص، مفيش غيرنا، إنت عارف المتحف مقفول للزوار والموظفين اللي هنا كل شغلهم أكاديمي للتوثيق مش أكثر.

أوما «حلو» برأسه مؤكداً قائلاً:

- آه طبعاً عارف ، أنا شخصياً ياما خلصت شغل هنا في المتحف بس الغريبة يا حج عزازي اني ما شفتكش ولا مرة.

ابتسم الحج عزازي وهو يجيب:

- أصل أنا يا ابني شغلي مالوش علاقة بالمعروضات اللي بتشوفها وتنفرج عليا الزوار، أنا شغلي من أول آخر الطريقة هنا، وأنت نازل.

انقعد حاجيا «حلو» بعدم تفهيمٍ لمعنى الكلمة الأخيرة في حديث الرجل، مما دفع الحج «عزازي» إلى الاستطرد:

- أقصد يعني إن شغلي في الأجزاء بتاعة البدروم اللي فيه المخزن الأثري للمخطوطات والبرديات اللي تحت المتحف.

نظر إليه «حلو» وهو يقول:

- تصدّق يا حج عزازي، أنا طول عمري نفسي أشوف المخازن الأثرية دي، حتى نفسي اتعرف على شكلها، وسبحان الله، على الرغم من إن عندنا في المبنى الجديد عُرف ومخازن كثيرة قوي لحفظ المخطوطات الأثرية، إلا إنني طول عمري كان نفسي أشوف المكان التاريخي ده نفسه بعيني.

ابتسم الحج «عزازي» وهو ينظر إلى «حلو» قائلاً:

- اللي يُصبر يُنول يا ابني، وواضح إن ربنا راضي عنك لأن في ناس بتقضي عمرها الوظيفي كله تتمنى تدخل المخازن دي وما بتعرفش، ده في وزراء دخلوا الوزارة وما عرفوش يدخلوها.

تبسّم «حلو» مستمتعاً بالحديث، في الوقت الذي نهض فيه الحج «محمد» واقفاً ببطءٍ وعلى وجهه آثار ألمٍ بسيطٍ ناتجٍ من تبيّسٍ مفاصله من طول فترة جلوسهما، وهويقول:

- بص بقى، إحنا حنعمل كوبايتين شاي خمسينة، نخلصهم، وننزل على

المخزن تشوف اللي وراك، وحاملك كوباية شاي بقى، إنما إيه، أراهنك إن مراتك نفسها ما تعرفش تعمل زيها.

قفزت صورة «سعادة» إلى رأس «حلو» فور انتهاء كلمات الحج «محمد»، فتغيرت ملامح وجهه إلى الإقتضاب، شعر بالحنين إليها، مع شعور آخر بالسعادة أنه سوف يتوجه لها فور انتهائه من عمله الليلية، ساعتين عمل فقط تفصله عن التوجه لها.

ولكنه لم يعلم أو يتخيل للحظة، أنه في طريقه إلى أن يواجه ما لم يكن يتوقعه،

ما لم يكن يتوقعه أبداً.

\*\*\*\*\*

جلست «سعادة» على الأريكة العتيقة في منزل والدتها، تلك الأريكة التي تحمل ذكريات شبابها وخبطتها وزياره «حلو» لها قبل الزواج، وعادت بعقلها وروحها إلى الماضي:

- حلو، يا اااا حلووووو.





- شوقي، أنا مش حمشي من هنا انهاردة غير لما أخذ بوسة، أنا معايا ورقة تثبت أحقيتي في الموضوع ده.

- يا نهارى، حلو!! ما تستهبلش، كلها أسبوعين على الفرع، ماما لو سمعتني بضحك كدة حتيجي تخرب بيتي.

قفز «حلو» من كرسيه ليختل موضعاً قريباً من «سعادة» على الأريكة قائلاً:

- حتجيبى بوسة بالذوق؟ والا نلجأ للعنف؟ أمك في المطبخ بتغسل المواعين، دي فرصتنا الأخيرة، هاتي بوسة قبل ما تهجم علينا بسلكة المواعين.

ضحكت «سعادة» وهي تحاول كتمان ضحكاتهما بيدها، ويدها الأخرى تدفع «حلو» للابتعاد عنها وهو لا يزال يحاول مُصرّاً على ما قال، وعلت ضحكتها أكثر وأكثر بينما ابتسامته تزداد اتساعاً على ضحكاتهما التي تسعد قلبه.

أخذت ذكريات «سعادة» تمرّ الواحدة تلو الأخرى، إلى أن قطعها شعورها بدفء الدموع المناسبة على وجنتيها، دموع تسيل بصمتٍ، مما زادها حزناً.

تذكرت «حلو» وتألّمت بشدة، كيف له أن يتركها ترحل وتترك المنزل، كيف يمر يومٌ كاملٌ دون أن يعيرها أيّ اهتمامٍ! إلى هذه الدرجة انتهى الحب من حياتهما!!!

إلى هذه الدرجة فترت مشاعره تجاهها؟؟؟

أم؟؟

هل أهملت في نفسها إلى أن وصل إلى هذه الحالة؟؟؟

أم أنه بكل تأكيد موضوع الخلفة، بالتأكيد هو ذلك الموضوع.

ماذا تفعل؟؟؟ ماذا تملك في هذا الموضوع؟؟؟

لا شيء،

يبدو أنها قد كتب عليها أن تعيش بألمٍ وحزنٍ على غير ما طمحت وتخيلت في بدايات زواجها بحبيبها «حلو»، يبدو أن القدر دائماً يحمل ما لا تشتهي السفن للمحبين.

يبدو أنّ حكايتها سوف تكون تلك الحكاية المكررة للسواد الأعظم من السيدات المتزوجات واللاتي انتهى بهن المطاف إلى ذات الجلسة، وذات الدموع المنهمرة.

قطع دموعها وحبل افكارها المتواصل دخول والدتها إلى غرفة المعيشة حيث تجلس هي وحيدة، وبخطواتٍ متناقلةٍ، اقتربت الأم قائلةً:



مرةً أخرى الدخول في عالم الخيال والذكريات؛

الذكريات التي حملت لها في الماضي كلَّ شعور «حلو»

وكلَّ لحظات «سعادة»

\*\*\*\*\*

## ٤

انتهى «حلو» والحج «عزازي» من ارتشاف آخر رشقةٍ من كوب الشاي الساخن الذي أعدّه الحج «عزازي» بنفسه، تبادلًا أثناء الانتهاء منه، الحديث حول الوثائق والمخطوطات والبرديات الأثرية التي عملا خلال سنوات حياتهما الوظيفية على توثيقها وحفظها رغم اختلاف السنِّ وسنوات العمل.

شرح «حلو» للحج «عزازي» ما وصلت إليه التكنولوجيا الحديثة في هذا المجال، وكيف ساعدت على الارتقاء والاهتمام بهذا الكمِّ الذي يفوق الملايين من الوثائق مختلفة الحجم والخامة والزمن.

بينما حدّثه الحج «عزازي» عن مدى تأثره واهتمامه بالوثائق بشكلٍ شخصيٍّ وشعوره وهي بين يديه حاملًا أثرًا تاريخيًا عظيمًا، يُشعرُه بمدى وجوب

حفاظه عليها من أجل نقل التاريخ إلى المستقبل، تاريخ مصر والعالم أجمع.  
تحركاً سوياً خروجاً من مكتب الحج «عزازي»، متجهين إلى حيث سيبدأ  
«حلو» عمله، خلال أروقة المتحف، إلى أن وصلا إلى المدخل المؤدي إلى  
المخازن القابعة أسفل المتحف.

ذلك المدخل المغلق بباب حديدي، يحمل في جانبه رتاجاً إلكترونياً رقمياً  
حديثاً، وهو الأمر الذي شعر معه «حلو» ببعض الحق، حيث شعر أنه من  
غير اللائق أن يتم التعامل مع ذلك المكان الأثري بتلك التكنولوجيا التي لا  
تناسب طبيعة المكان وعبقه التاريخي، إلا أنه عاد على الفور ليقنع نفسه أن  
ما تحمله الغرف أسفل المتحف من كنوز تاريخية يجب الحفاظ عليها بأي  
ثمن، لا يهم إلا حمايتها والحفاظ عليها.

نقرت أصابع الحج «عزازي» الأرقام بتتابع بطيء، فأصدر الرتاج صوت صغير  
قصير، وتغيرت لون أضوائه من الأحمر إلى الأخضر كمؤشر على صحة أرقام  
التوليفة الإلكترونية، ولم يلبث الحج «عزازي» أن سحب مقبض الباب بهدوء.

كان الباب، يحمل وراءه ظلاماً مُمْتدّاً، ودرجاتٍ تهبط إلى اللامكان.

أطلَّ «حلو» برأسه بفضولٍ مُحاولاً أن يمدَّ بصره علّه يستطيع تحديد أي شيء

في الأسفل ولكنه فشل.

ابتسم الحج «عزازي» وهو ينظر إلى انفعالات «حلو» قائلاً:

أصبر على رزقك، ما تستعجلش، حننزل أهو بس استنى عشان أجيب  
الكشاف معايا لأن مفيش كهربا تحت في المخزن.

تراجع «حلو» مندهشاً وهو ينظر إلى الحج «عزازي» باستنكارٍ متسانلاً:

- مفيش كهربا؟؟؟ ازاي؟؟؟ انا عارف إن في كهربا في مخازن المتحف السفلية  
من زمان!!

ابتسم الحج «عزازي» وهو ينظر إلى «حلو» ، محاولاً إضافة أكبر قدر ممكن  
من التشويق إلى كلماته وهو يقول:

- أيوة طبعا في كهربا في المخازن، بس...

انتظر «حلو» ثواني مرّت كالساعات وهو يتطلع إلى الحج «عزازي» الذي  
تبدو على ملامحه علامات الاستفزاز، قبل أن يقول بلهجة حادة:

- بس ايه يا حج عزازي، أحتا حنلعب من سيربح المليون؟؟؟ بس ايه يا حج

قرداحي الله يكرمك؟؟؟

ضحك الحج «عزازي» بجذلي وهو يستند إلى كتف «حلو»، ثم قال له:

- في كهربا طبعًا، بس، مش في الدور اللي إحنا حننزله.

ضغط الحج «عزازي» على كلماته في الجزء الأخير دليل على الإشارة إلى شيء ما، وهو الأمر الذي فطن اليه «حلو» في لحظة واحدة متسائلًا بذهول:

- إيه ده؟؟ الدور اللي حننزله؟؟؟ هو في دور ثاني غير دور البدروم اللي فيه الكتب؟؟؟

لم ينطق الحج «عزازي» وهو ينظر إلى «حلو» نظرة تشويقي وإثارة كبيرتين، كانت عيناه تلمعان سعادة لرؤيته تلك الانفعالات على وجه «حلو» الذي فغر فاه بذهول، وزاغت عيناه في محجريهما، وتسارعت أنفاسه من هول الإثارة، فأسرع في السؤال:

- يا حج عزازي، في كام واحد يعرفوا أن في دور ثاني تحت البدروم؟؟

تطلع إليه الحج «عزازي» بذات النظرة الجذلة، وهو يشير اليه بأصابع كفه قائلاً:

- أقل من صوابع الإيد الواحدة، وانت بقيت منهم.

تسارعت ضربات قلب «حلو» بعنف، وتدق الأذنين إلى عروقه غزيرًا، فشعر بنشاط مفاجئ، دفعه إلى القول بسرعة:

- طب ياللا يا حج عزازي، الله يكرمك، ياللا بينا، عاوز أنزل، مش قادر، مش قادر أستنى.

ضحك الحج «عزازي» وسعل قليلًا على سبيل الروتين، ثم نظر إلى حلو قائلاً بنشاط مرح:

- ياللا بينا يا عم، خطي برجلك اليمين وسمي الله.

ابتسم «حلو» بفرحة طفل صغير، وتحرك خلف الحج «عزازي» متخذًا الدرج نزولاً وهو يقول:

- وادي رجلنا اليمين، وبسم الله.

وبدأت أولى ليالي المأمورية المثيرة.

\*\*\*\*\*

جلست «سعادة» في غرفتها القديمة التي شُئت فيها والوجوم يحيط بملامحها حيث أظلمت أرجاء الغرفة إلا من ضوء الأباجرة الملاصقة لفراشها،

في الوقت الذي دخل إلى غرفتها والدها ذلك الرجل الكهل الأشيب، بعد أن طرق الباب بهدوءٍ واقترب من سريرها الذي جلست فوقه مستندةً إلى ظهره وهي تضمُّ ركبتيها إليها وتحتضنهما وإلى جوارها فوق مكتبها القديم ذلك المنبه القديم الذي أشارت عقاربته إلى السابعة مساءً، حتى جلس إلى جوارها وابتمس قائلاً:

- حبيبة بابا حفضل قاعدة لوحدها هنا كثير؟، مش حتيجي تقعدني معانا شوية برة بقى؟؟

- لا يا بابا، معلش، كنت محتاجة اقعد لوحدي شوية.

- امممم، بتهريني من أملك طبعاً ولسانها اللي عامل زي المبرد، عشان تعرفي بس اني ضحيت بنفسي من زمان وقاعد معاهها لوحدي بعد ما اتجوزتي انت، تعالي اقعدني معانا عشان خلاص وداني حتنشف و تقع زي ورق الشجر من زنها.

ابتمست «سعادة» لمداعبة أبيها، ولكنها لم تنطق مما جعله يكمل كلماته:

- يا بنتي، دي أول مرة بتاتي برة البيت من غير جوزك، حلو انسان طيب ومحترم، واكيد لو في اي مشاكل بينكم لازم تتحل بالمناقشة والكلام.

يا بابا احنا لا بنتناقش ولا بنتكلم، احنا عايشين زي اللي مش عايشين، كل واحد عايش مع نفسه تحت سقف بيت واحد.

غلط يا سعادة، الست الشاطرة هي اللي تتكلم مع جوزها وتعرف تعرض المشكلة، والراجل الشاطر هو اللي يسمح ويطلع دايماً من كل المشاكل «سيان مراته، مش خسران مراته.

«رقرت الدموع في عيني «سعادة»، وقالت:

انا حاسة يا بابا انه خلاص ما بقاش يحبيني، حاسة انه كل يوم يبعد عني فيه أكثر من اللي قبله ومش عارفة أعمل ايه.

ابتمس الأب ابتسامةً حانيةً، وهو يقول:

- يا بنتي، كل البيوت بيعدي عليها الأوقات دي، كل علاقة بيعي وقت ويمر بيها شعور رهيب بالفتور، وعدم الاهتمام، ودايمًا العلاج ما بيكونش بالسكوت، إنما دايماً بالكلام والمناقشة والتواصل، دا انتي متعلمة وعارفة، مش كدة؟

- مش قادرة يا بابا، حاسة اني عاملة عملة، ومش قادرة اتكلم، من ساعة موضوع الخلفة ده وأنا ما بنطقش، ومش قادرة أنطق.





كان الدرج مظلمًا

خاصةً مع دخول الوقت إلى ما بعد وقت العشاء، ولكنَّ المصباح الذي حمّله الحج «عزازي» أَمَّن رؤيةً مناسبةً لكليهما أثناء النزول، حتى وصلا إلى الطابق السفلي «البدروم».

جال «حلو» ببصره في ذلك المكان بهدوءٍ، وظلَّ يتطلَّع إلى تلك الأحجار المكوَّنة لجدران المبنى العتيق، تلك الأحجار كبيرة الحجم التي مرَّ عليها من الزمن ما يتعدى المائة عامٍ ويزيد.

امتدَّت يد الحج «عزازي» لتضيق قابس الكهرباء، فأضيئت بعض المصابيح ذات الإضاءة الخافتة والمعلَّقة في جوانب السقف، وبدأت ملامح المكان تتضح شيئًا فشيئًا، كان البهو الذي انتهى إليه الدرج متسعًا، ليس له سوى ذلك المخرج الذي دلف كلُّ منهما من خلاله بالإضافة إلى ذلك الممر الطويل المظلم المقابل للدرج، والذي يحتوي على غُرْفٍ متقابلةٍ على جانبيه، بالكاد تتضح ملامح نهايته من خفوت الإضاءة.

تقدَّم الحج «عزازي» إلى الممر، يلاحقه «حلو» بلهفةٍ، والإثارة قد بلغت منه مبلغها فهو يسير الآن في قلب الممر الذي طالما تحدث عنه الكثيرون في

أروقة الإدارة، وتفاخر القليلون جدًّا بأنهم ممن هبطوا إليه مرَّةً في حياتهم.

عبرًا سويًّا خلال الممر الطويل والأبواب الخشبية العتيقة على اليمين واليسار، أبوابٌ مغلقةٌ مُصمتةٌ مقتضبة الشكل واللون، وكأنها تنظر إليهم تحذِّرهم من الاقتراب منها؛ تحمي وتحمل وراءها من المخطوطات والكنوز ما يجعل مصر تبرع على قمة العالم في اقتناء الآثار بلا منازع طوال التاريخ القديم والحديث، كان كلُّ منهما يعلم هذا جيدًا.

وصلا إلى إحدى الغرف، وتوقَّف الحج «عزازي» أمامها، وبدوره توقَّف «حلو»، ونظر الحج «عزازي» إلى «حلو» في محاول منه لإضفاء مزيدٍ من التشويق وهو يتسم ويقول:

- ها؟؟؟ جاهز؟؟

ابتسم «حلو» محاولاً التماسك وهو يجاهد لإضفاء القدر الأكبر من الهدوء على كلماته وهو يقول بسخريةٍ:

- جاهز طبعًا يا حج «عزازي»، أحنأ حنطلع هوا خلاص؟؟ جاهز إن شاء الله، ذيع.

ولكنَّ نبرة كلماته خرجت مهزوزةً رغماً عنه أخفَّت طابع السخرية في كلماته،

مما جعل الحج «عزازي» يتسم ابتسامة أبوة وهو يفتح مزلاج الباب ويدفعه إلى الداخل، ويخطو بداخلها ومن ورائه «حلو».

كانت الغرفة خالية تمامًا، مما أثار دهشة «حلو»، لا تحتوي على أي شيء، لا وجود لأي وثيقة أو مخطوطة أو بُردية واحدة، لم تكن سوى غرفة كبيرة خاوية ليس أكثر، لم يَدْم اندهاش «حلو» على حال الغرفة كثيرًا حيث طغى عليه اندهاش أكبر وأكثر تأثيرًا وصل إلى حدّ الذهول التام حين توجه الحج «عزازي» إلى أحد الجدران الحجرية، وتوقف أمامها قليلًا يتأملها، ثم لم يلبث أن امتدت يده وقام بدفع أحد الأحجار المكوّنة لذلك الجدار بيده بقوة إلى الداخل، فتحرّكت استجابةً للدفع مُصدرةً صوتًا مكتومًا، بدأ معها الحائط ذاته في الانقسام والتباعد إلى جانبي الغرفة ببطء شديد مُحدثًا صريرًا مُدويًا، لم يكن أكثر دويًا من صوت شهيق «حلو» والتأثر الذي ظهر على ملامحه في تلك اللحظة، إلى أن توقف جانبا الحائط عن التباعد، ليكشفًا عن درج آخر لا تظهر نهايته من شدة الظلام، درج يقود إلى حيث لا يعلم عن هذا المكان سوى القليلين في مصر والعالم أجمعه.

\*\*\*\*\*

الضخامة من السكون مرّت على الغرفة التي انشقّ جدارها منذ لحظات.

سُت تَامٌ خِيَمَ على المكان وسط ذهول «حلو» الذي فغر فاه وكادت عيناه تنفّز من محجريهما وهو يُحدّق في الفراغ الذي خلفه الجدار وتظهر على بداياته درجات هابطة، لم يقطع الصمت إلا التفاتة الحج «عزازي» ليتطلع إلى وجه «حلو» ويراقب تعبيرات الدهول على قسماته، ويتسم قائلًا:

إيه رأيك؟!

انتفض «حلو» وهو ينظر إلى الحج «عزازي» الذي أخرجه بسؤاله من حالة السبات العميق التي كان عليها، وأجاب بسرعة:

انت بتسألني يا حج أكنك بتاخذ رأيي في طعم الملوخية اللي عاملها مراتك!!!

انفجر الحج «عزازي» ضاحكًا لثوانٍ أعقبها كالعادة ببعض السعال، ثم قال:

- الله يجازي شيطانك، أنا قصدي إيه رأيك في اللي شفته لحد دلوقتي يا حلو.

هز «حلو» رأسه مرةً أخرى قائلًا:

- برضو يا حج عزازي السؤال ده يتسأل لواحد بيتابع طريقة عمل شاورما

سوري من غير استخدام لحمة على قناة فتافيت!!! رأيي في ايه؟؟ أنا مش مستوعب إيه ده، ولا مصدق، أنا أكيد بحلم، أكيد ده حلم، دي حاجة زي الأفلام الأجنبية.

ابتسم الحج «عزازي»، وهو يشير إلى «حلو» بالاقتراب قائلاً:

- أفلام أجنبي مين يا عم ويتاع مين؟! تعال نزل عشان تشوف اللي حتى مستحيل يتخيلوه في الأفلام الأجنبي، تعال يلا بينا.

تقدّم «حلو» ببطء من الجدار المنقسم في خطواتٍ حذرة، بينما سبقه الحج «عزازي» إلى الدرج الهابط نزولاً، وعلى الفور لحق به «حلو».

كان الدرج مختلفاً هذه المرة، كان حجم الدرج كبيراً، وكانت النقوش والحروف العربية العثمانية تُزين جدران الدرج، كان يراها بالكاد نتيجة الضوء الصادر من المصباح الذي يحملهُ الحج «عزازي».

كانت المسافة هذه المرة أطول من سابقتها في الدرج المؤدي إلى الطابق السفلي، كانت تبدو هذه المسافة أكثر من ضعف سابقتها، حتى أن «حلو» بدأ يشعر بالقلق، ولكن قلقة لم يدم طويلاً، حيث انتهت بهم الدرجات إلى نهاية الطريق.

باب غرفة خشبي كبير يحمل نقوشاً وكتاباتٍ متداخلة، حاول «حلو» أن ينظر إليها عبر الضوء المنبعث من المصباح اليدوي، وتسمّر ذهولاً؛ كانت النقوش والكتابات متداخلةً بحرفية وفنٌ عظيمين، ولم تكن تلك هي سبب دهشة «حلو» فقط، بل كان سبب دهشته الأساسي يكمن في أن تلك الكتابات كانت خليطاً ممتزجاً من حروفٍ عربية ولاتينية ونقوشٍ فرعونية، كانت لوحةً متكاملة الإبداع من عددٍ كبيرٍ من الحروف التاريخية، كانت تبدو وكأنها لغةٌ ما، جملٌ معينة، كلماتٌ منسقةٌ منتقاةٌ بعناية، ولكنه لم يكن يفهم معناها.

قطع تركيزه في النقوش يد الحج «عزازي» التي أدارت مزلاج الباب الخشبي العملاق، ودفعته برفقٍ، تحرك معها الباب مستجيباً محدثاً صريراً معدنياً قوياً تردد صداه عدة مراتٍ في ذلك المهبط حتى أن «حلو» شعر بالخوف للحظاتٍ من الصوت الذي يعود من ورائه مراراً وتكراراً.

كانت الغرفة مظلمةً تماماً، دلف إليها الحج «عزازي» الذي بدأ جبينه يندى بقطراتٍ عرقٍ نتيجة المجهود الذي بذله في النزول إلى هذا المكان، تحرك في ضوء المصباح الخافت، ليضغط زراً على قاعدة خشبية تم تعليقها على الجدار، يبدو أنه قد أعد حديثاً داخل الغرفة، يتصل بمجموعة أسلاكٍ خفيفةٍ

تزحف فوق الجدار وتتغلغل وتغيب في الأجزاء التي لا تظهر في الغرفة من شدة الظلام.

وفور أن ضغط القابس حتى أضاءت الغرفة بشكلٍ متتابع، جعل الرؤية تتضح شيئاً فشيئاً، حينها، حينها فقط، كانت دهشة «حلو» تعدُّ الأكبر في حياته، كان الدهول يملأ ملامحه وكيانه كما لم يملأهما من قبل.

كانت مساحة الغرفة كبيرةً بشكلٍ لا يُصدّق، كانت مساحتها تتجاوز مساحة المتحف بالكامل في حد ذاته، كانت ممتدةً بشكلٍ لا يُصدّق، ولم يكن هذا هو السبب الوحيد لحالة الدهول التي أصابت «حلو»، بل إنَّ تلك الحالة قد أصابته من عدد الكتب والمخطوطات والوثائق التي رآها، إنها المرة الأولى في حياته التي يرى فيها هذا الكم من تلك المخطوطات والبرديات والكتب باختلاف أحجامها وأشكالها مجتمعةً في مكانٍ واحدٍ.

تحرك «حلو» بلا شعورٍ، وتوجّه نحو مجموعةٍ من المخطوطات المُلقاة على الأرض بلامبالاةٍ، اقترب منها بهدوءٍ، انحنى ببطءٍ مستنداً على ركبتيه، أمسكها وحملها بحذرٍ شديدٍ، وأزاح تلك الأتربة التي تغطيها عبر النفخ فوق المخطوطة بهدوءٍ، حتى بدأت ملامحها تتضح؛ إحدى وثائق العصر الروماني

في مصر قبل ميلاد المسيح عليه السلام.

«قرقت عينا «حلو» بالدموع وهو يحمل بين يديه مخطوطةً يعود تاريخها إلى أكثر من ألفي عامٍ، فأعاد وضعها بحرصٍ شديدٍ، ثم وقف مرةً أخرى. استدار ليطلع وجه الحج «عازي» الذي يراقبه بصمتٍ، وعلى شفثيه ابتسامة إعجابٍ، أعقبها بسؤال «حلو»:

شفت يا حلو احنا عندنا ايه؟؟؟

شفت يا حج عازي، شفت ويا ريتني ما شفت، انا مش قادر أمسك نفسي من الانبهار، ده كنز!! كنز بكل ما تحمله الكلمة من معاني، الأوضة دي فيها ما لا يقدر بمال، فيها تاريخ الإنسانية بالكامل يا حج، فيها اللي يملأ خمسين متحف زي متحف دار الكتب، لأ خمسين ايه؟؟ قول مية، قول ألف.

ابتسم الحج «عازي» بحنانٍ وهو يقول:

- بالراحة يا ابني على نفسك، أنا عارف يا ابني، عارف كل ده، بس خللي بالك، زي ما اتفقنا، احنا محتاجين نتعامل مع الموضوع ده بهدوءٍ شديدٍ وسريةٍ تامةٍ في الوقت الحالي.





شد الحج «عزازي» قامته وبدت علامات الفخر على وجهه وهو يقول:

- بالجهود الذاتية يا حلو، مكانش في كهربا واصله، وانا جبت شوية أسلاك على كام دواية على كام لمضة موفرة، وبطاريتين عربية نقل، وواحد صديق مهندس كهربا عملي محول، واتصرفت بقى.

ابتسم «حلو» وهو ينظر إلى الحج «عزازي» ثم قال:

- عفريت أنت يا حج، والله عفريت، ده شغل موالد بالصلاة على النبي.

قهقه الحج «عزازي» وحاول ألا يسعل ولكنه فشل، ثم قال:

- الجيش قالك اتصرف، وأنا اتصرف، المهم، حسيبك بقى لشغلك، ومعادنا

كمان ساعتين، عاوز حاجة دلوقتي يا ابني؟

نظر «حلو» حوله بتشتت تام، وقال للحج «عزازي» دون أن ينظر إليه:

- أنا عاوز حد يقولي ابتدي منين والا منين والا منين، انا محتجن من الحلاوة،

يا لهوي، يا لهووي، يا لاهوي.

ابتسم الحج «عزازي» بسعادة، ثم التفت وهو يتخذ طريقه للصعود قائلاً منبهاً:

معادنا كمان ساعتين، سلام.

وقف «حلو» دون أن يلتفت، وهو يتطلع إلى مكانٍ بعيدٍ يظهر فيه تلٌّ من

الكتب المتراكمة، وقال محدثاً نفسه:

ايوة، أنا ابتدي من عند الجبل اللي هناك ده، اكيد في بلاوي هناك، يا ترى

كتب إيه و الا مخطوطات إيه اللي هناك دي؟ قلبي حيقف، مش مصدق

نفسي، دا أنا حبات هنا، مش حتحرك من هنا، مش مروّح، يا لهوي، يا

لهووويوي، يا لاهوي.

وبدأ في التحرك نحو زاوية الكتب التي حددها، وقلبه يرقص طرباً، وعقله

ينبئه أن هذه التجربة ستكون الأروع في حياته.

\*\*\*\*\*



«عظم كبار السن، كانت تعاملاته مع المحمول محدودةً للغاية، لم يَذُبْ  
أو ينكسر أبدًا ذلك الجدار الجليدي بينه وبين التكنولوجيا المتطورة، إلا في  
أسبق الحدود.

استعاد الحج «عزازي» سيطرته على نفسه في لحظاتٍ، ثم التقط الهاتف  
الذي كان يرنُّ كالْمسْعور بلا توقُّفٍ، ونظر إلى شاشته بضجرٍ وبغضبٍ وفي  
رأسه شياطين الدنيا تخبره أن يحطِّم هذا الهاتف المزعج اللعين، ليُطالِع اسم  
«أم سلمى»، فيزفر بضجرٍ، ويضغط زرَّ إجابة الاتصال:

- ألو، أيوة يا حاجَّة، أيوة خير؟؟ حكون فين يعني؟؟ في الشغل يا حاجَّة.  
ثم بدأت قسَمات وجهه بالتغيُّر بصورةٍ مفاجئةٍ، وهو ينصت باهتمامٍ ثم  
يقول بصوتٍ مضطربٍ:  
- ليه كدة يا أم سلمى؟؟ مالِك؟؟؟ تعبانة حاسةً بإيه طيب؟؟ طيب طيب، انا  
جي حالاً، مسافة السكة.

أنهى الحج «عزازي» الاتصال بسرعةٍ، ونهض من مكانه ببطءٍ فرضته عليه آلام  
الخشونة في مفاصل ركبتيه، ثم أسرع في إغلاق السجل وإعادته إلى مكانه  
بنظامٍ خلَّفته سنواتٌ طوالٌ من العمل، والتقف هاتفه المحمول ودسه في

## ٥

أشارت عقارب الساعة إلى التاسعة والثلث مساءً، بينما جلس الحج «عزازي»  
فوق مكتبه وهو يُطالع بعض السجلات الأرضية باهتمامٍ.

كان الحج «عزازي» بالفعل رجلاً يعشق عمله للغاية، ويقضي وقته بالكامل  
في محاولة التطوير والاهتمام بالكنوز المُحيطة بالمكان، والمُكْدَسَة في كلِّ  
ركنٍ من أركان هذا الصرح التاريخي العظيم.

لم يقطع انتباهه الشديد إلى السجلات، إلا صوت هاتفه المحمول وهو يرنُّ  
فجأةً، مما جعله ينتفض مذعوراً مثل كلِّ مرةٍ يرنُّ فيها الهاتف وهو يعمل في  
هذا المكان وسط الهدوء.

لم يعتدَّ أبدًا صوت الهاتف المفاجئ، رغم حملة له لسنواتٍ قليلةٍ، إلا أنه

جيبه، ثم توجه نحو الباب بسرعة، أخرج مفاتيح باب المكتب من جيبه، ثم توقف فجأة وتحدث مخاطبًا نفسه:

- يا ربي!! كنت حانسى حلو!!! يا ستار، اعمل ايه دلوقتي؟؟!!

بدأ عقله يفكر للحظات يشويها التوتر والتردد الشديدين ثم ما لبث أن اتخذ قراره وهو يغلق الباب بسرعة محدثًا نفسه من جديد بلهجة إقناع:

- هي ساعة واحدة، حاروح اطمن على الحاجة، واكلم البنات يجوا يشوفها مالها، وارجعله هوا، مش حتأخر إن شاء الله، استر يا رب.

تحرك نحو الباب الأمامي بخطواتٍ مسرعة وهو يحوقل ويُسمل ويقرأ بعض الأدعية، وعبر بوابة المتحف الخارجية التي جلس على طرفيها حراس الأمن، الحراس الذين وصلوا منذ ساعة لاستلام ورديتهم الليلية، فباشروه بسؤال:

- خير يا حج عزازي، مالك؟؟ شكلك في حاجة!

- لا الله يكرمكم، الحاجة بس بعافية في البيت.

- ألف ألف سلامة عليها يا حج، ربنا يطمنك عليها، مش عاوز أي حاجة طيب؟؟

- ربنا يخليكم يا رجالة، دعواتكم.

ثم انصرف الحج «عزازي» بخطواتٍ مسرعة متبوعًا بدعوات رجال الأمن وعلامات الإجهاد تظهر على وجهه من فرط بذل المجهود في الإسراع نحو منزله بالإضافة إلى توتر أعصابه وشعوره بالقلق البالغ، ليطمئن على شريكه حياته.

شارع، وراء شارع، وراء شارع، وهو يمدُّ الخطى نحو المنزل، ورغم برودة الشتاء القارصة، إلا أنَّ قطرات العرق بدأت تظهر كحبات لؤلؤ تعكس أضواء أعمدة الإنارة على جيبينه، وبدأت أبخرة الشتاء تتصاعد من فمه في مثل هذا الوقت من الليل بشكلٍ مُتسارع، دليلًا على أنه يبذل مجهودًا كبيرًا.

كانت الشوارع شبه خالية، البرودة والشتاء والليل وموسم المدارس، جعل الجميع يقبع في منزله بلا أدنى مخاطرة بالخروج في مثل هذا الطقس، حتى سائقي سيارات الأجرة، خَلَّت الشوارع من المارة تقريبًا، إلا من بعضهم القليل هنا وهناك.

ومع الخطوات المُتسارعة، والمجهود الكبير الذي لم يعتدّه الحج «عزازي»، بدأت الصور تبهت من حوله، وبدأت الأشكال في التغير أمام عينيه، حاول

أَنْ يُحْرِكَ يديه إلى رأسه، حتى يزِيل ذلك الدوار السخيف، ولكنَّ الدوار ازداد شيئاً فشيئاً بسرعة، حتى تمكَّن من عقله تماماً في لحظاتٍ قصيرة.

تباطأت خطوات الحج «عزازي»، وتناقلت حركته فجأة، لم يَعُدْ يعرف ماذا يحدث، ولكن انتباهه الشديد كان لتلك الأضواء التي بدأت تخفت وتتداخل من حوله، ورأسه التي لم يعد يدرى ماذا يحل بها؟؟؟

امتدت يده تشبَّث بالفراغ، وتضرب الهواء محاولةً الوصول إلى أي شيء يمكن الارتكاز عليه، ولكنه فشل وسقط مغشياً عليه، بلا حراك.

\*\*\*\*\*

كانت عينا «حلو» تَبْرُقَان كما لم تبقا من قبل، كانت الابتسامة على وجهه تكاد تصل من الأذن إلى الأذن الأخرى، وهو يردد بين الحين والآخر بسعادة جذلة:

- يا لهوي، يا لهوووووووي، يااااا لهوي.

كانت يداه تتفحصان بهدوء وعناية مجموعةً من أروع الكنوز فوق كوكب الأرض.

كتب من كل مكان في الدنيا، ما نجا من التتار في بغداد، ما نجا من المحارق في أوروبا في العصور الوسطى، مخطوطات فرعونية وقبطية تعود لأزمانٍ سحيقة، مخطوطات يونانية تاريخية.

كانت أصابعه ترتعد من فرط الإثارة، وهو يُخاطب نفسه بسعادة قانلاً:

- كنز، ده كنز، أكيد ده كنز الملك سليمان، ده أغلى من كل كنوز الأرض، الورقة الواحدة من دول لا تقدر بتمن، أنا لولا خايف على الورق كان جالي تبول لإراداي من الفرحة.

كان يتنقل بين تلال المخطوطات والكتب كالذي يتنقل بين بساتين الأزهار والفواكه، لم يَعْرِ الوقت أيَّ انتباه، لم يلتفت إلى أنَّ الساعة قد تجاوزت بالفعل الحادية عشر مساءً، لم يلتفت إلى أنَّ مواعيد الدوري مع الحج «عزازي» قد مرَّ عليه ساعة كاملة وأنَّ الرجل لم ينزل إليه كما اتفقا سويًا.

ولكن، لم يعد للوقت أيُّ أهمية، ولم يعد للأشخاص أيُّ ذِكْر في هذه اللحظات، ما يحيط به من كنوز جعله يفقد القدرة على تمييز كل الأوقات والوعود والالتزامات، حتى وعده الذي قطعه مع نفسه بالذهاب إلى زوجته «سعادة»، تناساه تماماً أمام رغبته السعيدة في الارتواء مما يحيط به من

واحاحات الكنوز المكتوبة والمخطوطة والمرسومة.

واصل «حلو» التنقل لنصف ساعة أخرى، وهو لا يشعر بأي ملل أو كد أو تعب، السعادة تغمره من قمة رأسه إلى أخمص قدميه.

تقدّم هنا وهناك، حتى وصل إلى مجموعة من الكتب المترابطة بعناية، وفوق قمتها، كان ذلك الكتاب المختلف...

كتاب مختلف، كبير للغاية، عدد أوراقه ضخّم، ولكن، لم يكن ذلك فقط هو ما لفت انتباه «حلو» إلى الكتاب وجذب نظره إليه.

فقد استرعى انتباه «حلو» في تلك اللحظة حالة الكتاب التي كانت أفضل من كل الكتب الموجودة في القبو الكبير، بل إن «حلو» قد لاحظ أن حالته تكاد تكون أفضل من الكتب الحديثة الطباعة، وكأنه قد خرج لثوه من المطبعة حديثاً، ولكن بشكل قديم عتيق، بعنوان مكتوب بحروف مزركشة تعود إلى عصر الرسم العثماني.

عقد «حلو» حاجبيه، واقترب من الكتاب وهو يقرأ اسمه ببطء، بصوت خرج منه وهو يحدث نفسه:

- حواديت السعادة.

ازداد حاجباً «حلو» انعقاداً، وهو يفكر في هذا الاسم الغريب، الاسم المكتوب

باللغة العربية السليمة، الذي توسط غلاف الكتاب وحيداً، والذي لا يشير إلى محتوى الكتاب على عكس ما هو متعارف عليه في الكتب القديمة وحقة استخدام هذا النوع من أنواع الخطوط، فقال «حلو» بتساؤل مخاطباً نفسه:

إيه يعني مش فاهم؟؟ حواديت السعادة بتاعة إيه يعني؟؟ الواحد متعود

يقرأ مثلاً، حواديت السعادة في تنضيف السجادة مثلاً، حواديت السعادة

في، في، بشرها سادة، تصدق تمشي، ممكن برضه، حواديت السعادة في

كيفية انتقاء العربيات اللادا، حيبقى كتاب كاتبه واحد ميكانيكي يخل، إنما،

حواديت السعادة حاف كدة؟؟؟؟ غريبة، يمكن الكتاب ده بتاع ولاد الحج

«عزازي» مثلاً؟؟! استنى كدة، حواديت السعادة في الدراسات الاجتماعية

للإبتدائية، كدة راحت على الأضواء وسلاح التلميذ والمعاصر، بس إيه ده

صحيح؟! الحج عزازي!!! يا لهوي!!! الراجل ده راح فين صحيح؟؟؟

نظر «حلو» في ساعته بسرعة فوجدها قد تجاوزت الحادية عشر مساءً بضع

دقائق، ففكر للحظة، ثم ما لبث أن قال محاولاً اقناع نفسه:

- تلاقيه عارف إنني ملهي هنا، وقال يسبيني شوية زيادة كمان ألف وأشوف

البلاوي اللي حواليا دي كلها، كلها شوية، وحلاقيه نازل بكوباية الشاي والمية. بيعرج زي الكنغر اللي مخبوط في فخاده، اكون أنا شوفت اللي في إيدي ده. اقترب «حلو» بوجهه أكثر فأكثر من الكتاب وهو يتفحصه بعناية، وامتدت يده لتمسك به ببطء، وتَزَعَّه من مكانه بحرص.

سار به وهو يحمله عدة خطوات للوراء، مسافة لم تتجاوز المترين وجلس مستنداً بظهره إلى إحدى تلال الكتب المجاورة، امتدت يده بتلقائية شديدة، تمسح وتزيل غباراً لم يكن موجوداً في الأساس فوق جلدة الكتاب، مما زاده حيرةً ودهشةً.

امتدت أنامله، وفتحت الكتاب بهدوءٍ شديد، ومع فتح الكتاب، انفتحت أبواب الجحيم، بمنتهى العنف.

\*\*\*\*\*

جلس الطبيب يخطُّ بعض أنواع الأدوية على ورقة، ومن حوله وقف أفراد أسرة الحج «عزازي»، تتوسطهم زوجته الحاجة «أم سلمى» التي احمرت عيناها وأنفها دليلاً على بكائها منذ لحظات قليلة، وإلى جانبها وقفت ابنتاها وهما تحيطان كتبها بذراعيهما، ويربتان عليها بحنو، بينما وقف زوجها ابنتي

الحج «عزازي» وهما يراقبان الطبيب باهتمام، حتى فرغ من كتابة العديد والعديد من الأدوية، ثم التفت إلى زوج سلمى قائلاً بلهجة أمرية: الدواء ده لازم يجي بسرعة.

حاضر يا دكتور حالاً، حانزل أجيئه حالاً.

تدخلت الحاجة أم سلمى متوجهةً إلى الطبيب بسؤالٍ واللوعة تظهر في نبراتهما:

- طمني يا دكتور والنبي، الحج ماله؟

- بصراحة يا حاجة الحج تعبان شوية، وعنده الدنيا كلها متلخبطة جامد، الضغط والسكر وحشين قوي، انتوا ازاي ساييينه ده كله يا حاجة؟

- والله يا دكتور هو اللي تاعبنا، ولا بيسمع كلام حد، ولا بيرضى يحافظ على نفسه، ومن صباحية ربنا ينزل يروح الشغل ما يرجعش الا وش الفجر ويا دوب ساعتين ثلاثة ويجري جري تاني على الشغل.

- وده كلام برضه يا حاجة؟؟ الحج كبير في السن، ولازم يخللي باله على صحته، اللي عنده ده شبه انهيار تام في وظائف الجسم، إرهابك شديد جداً

جداً، ولازم يتنقل المستشفى، مش أقل من أسبوع ما يتحركش من السرير.  
وأنا حعدي عليه كل يوم بالليل وأنا راجع من العيادة اطمئن عليه بنفسني في  
المستشفى.

امتقح وجه أم سلمى بعد سماع كلمات الطبيب وقالت:

- مستشفى؟؟ هو تعبان للدرجة دي يا دكتور؟!

ابتسم الطبيب وهو يحاول إضفاء أكبر قدر ممكن من الهدوء على كلماته  
ونبرته وأسلوبه قائلاً:

- يا حاجة الحج «عزازي» كبير في السن، ومحتاج رعاية طبية كويسة عشان  
يقوم زي الفل، ودي أهم حاجة.

ترقرقت الدموع في عيني أم سلمى ثم قالت:

- ربنا يكرمك يا دكتور، احنا أهل وطول عمرك ابن حلال.

- ما تقوليش كدة يا حاجة، شوفي، أنا مديله حقنة حتخليه نايم فترة كويسة،  
وأنا حابعت للمستشفى تجهز أوضة وتبعت عربية الإسعاف الليلة دي ونقله  
في هدوء قبل دوشة النهار.

ربنا يكرمك يا دكتور، وما يحرمناش منك، أنت لولا اهتمامك ومساعدة  
والاد الحلال اللي لحقوه في الشارع وجايوه على هنا من عنوان البطاقة كان  
الراجل راح معنا.

ثم انخرطت الحاجة أم سلمى في بكاءٍ شديد، وأقبلت ابتناها عليها لتضمها  
«تطمئناها في الوقت الذي استطرد فيه الطبيب قائلاً:

أهم حاجة الراحة و المتابعة ودي حاجات مش حيلاقها غير من متخصصين  
في المستشفى يا حاجة، إن شاء الله يومين ثلاثة ويفوق و إسبوع بالكثير  
ويخرج معاكم من المستشفى زي الفل، أنا عاوزك تطمني ولما يخرج  
بالسلامة تخلي بالك عليه في فترة النقاهة.

من بين دموعها أجابت الحجة أم سلمى قائلةً:

- حاضر يا دكتور، حطه في عيني زي ما هو موجود طول عمره.

ابتسم الطبيب ابتسامة وُدٍ وأردف:

- ومهم برضه إنتي كمان يا حاجة تاخدي الدوا اللي كتبتهولك من شوية، مش  
عاوزين موضوع التعب ده يتكرر تاني، شوية فيتامينات كدة وانتي الحمد  
لله، ضغطك كويس والسكر معقول، بس نخلي بالننا بقى، ده المهم.



أومات الحاجة أم سلمى برأسها إيجاباً وهي تحاول التماسك قائلةً:

- حاضر، حاضر يا دكتور، بس المهم هو يبقى كويس، أنا مش مهمة، هو اللي مهم، ربنا ما يحرمناش منه أبداً ولا من دخلته علينا.

ثم عاودت البكاء مرةً أخرى، في حين تدخلت إبتهاها محاولتان الشد من أزر أمهما، مستعintان بكلمات الطبيب ومستدلتان على كلماته التي تطلب الراحة لوالدهما.

استأذن الطبيب للمغادرة مع وعده بالمرور على الحج «عزازي» في المستشفى مساء الغد للاطمئنان على حالته وتأكيده على أن سيارة الإسعاف سوف تكون متواجدةً في خلال ساعتين على الأكثر لنقله.

تسللت أم سلمى إلى حجرة الحج «عزازي»، ووقفت لدى الباب، وهي تنظر إليه بحبٍّ ولهفةٍ، وتتمنى من كل قلبها أن يعود إلى وعيه ويملاً الدنيا بصوته وطلباته التي تملأ عليها حياتها.

تطلعت إلى حيث يرقد على فراشه، وهو غائبٌ في غيبوبةٍ عميقةٍ وعالمٍ آخر، لا يعلم أحدٌ متى سيعود منه.

\*\*\*\*\*

أسواء ملونةً ساطعةً تتلألأ، أنارت كل ركنٍ من أركان القيو الواسع، أضواءً أحالت ظلام أركان القيو إلى نهار، أصواتٌ متداخلةٌ من كل صوبٍ تدور في أرجاء المكان، بينما جلس «حلو» وهو يرتعد ممسكاً بالكتاب وكأنه يحتمي به، وعلى وجهه علامات فزعٍ رهيبٍ ولا يدري ماذا يحدث من حوله.

«رُ ما يقارب الدقيقتين والأضواء ترتفع وتنخفض وألوانها تتداخل وكان قوس قزح قد انفجر في المكان، والأصوات تعلو وتنخفض وهي تتحدث بكلماتٍ حملت كل لهجات الأرض، ولكن «حلو» لم يستطع أن يميز منها جملةً واحدةً من شدة تداخلها، وبدأت الأضواء تخفت تدريجياً، وبدأ الوضع يعود إلى سابقه، لتحل الإضاءة البسيطة مكانها من جديد، وتعود أركان القيو إلى قلب الظلام مرةً أخرى.

نظر «حلو» حوله بفزعٍ، وفرائصه ترتعد بعنفٍ، شعر أن دقائق قلبه تكاد تحطم عظام قفصه الصدري لتقفز هاربةً إلى مكانٍ آمنٍ، بينما لا يكاد يقوى على أن يحرك قدميه لينهض من جديد.

مرت دقيقةٌ أخرى، استعاد فيها «حلو» سيطرته على انفعالاته، بينما لا تزال حالة الفزع تتملك أطرافه، قاوم بصعوبةٍ، ونهض من مكانه، وهو يدور حول



نفسه بترقي، و ذراعاه ما زالتا تحيطان بالكتاب وتحضنانه وعيناه تنظنان  
إلى الأركان المظلمة، والهواجس المخيفة تتقافز إلى عقله بلا رحمة، وتحدث  
إلى نفسه بصوت مسموع قائلاً:

- يا مراري، يا نصيبي، يا نايتي، يا بلوتي، استر يا رب، بسم الله الذي لا يضر  
مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، استر يا رب، طبعاً حططعلي سحلية  
حولة عملاقة من الركن الضلمة اللي هناك ده وحططب مني أرقص بلدي يا  
أما تتكاثر معايا بالانقسام، وأكد من الركن الثاني ده، حيطلع عقريت بعين  
واحدة وحيطلب مني احطلة قطرة بريزولين فيها وحيهدلني لانني معايش  
البريزولين، اه ياني يا أما، يا ترى حيحصل ايه يا أما، معايش بريزولين يا أما...  
لم يكذ «حلو» ينتهي من كلماته وتساؤلاته، حتى جاءت الإجابة من بين  
ذراعيه تماماً:

- حيحصل ايه يعني؟؟؟ كل خير يا حلو.

انتفض «حلو» انتفاضةً كادت تنخلع معها رقبته عن جذعه، وارتد مبتعداً  
قاذفاً الكتاب من بين يديه قبل حتى أن يحاول النظر إليه وهو يطلق صرخةً  
جزعةً رفيعةً، وما إن ابتعد عدة خطوات واختبأ خلف تلّ كتب مجاور، حتى

ألم برأسه ليري من أين صدر هذا الصوت، فلربما يكون الحج «عزازي».  
لم يجد أي شخص في الجوار، مما زاده رُعباً، وبدأت قسّمات وجهه في  
البحول إلى البكاء من شدة الرعب، ظل «حلو» يحقد في المكان بفزع ثم  
«ال بصوت مرتجف:

سلامووو عليكووو، أيوة، مين اللي هنا يا جماعة؟

«رج الصوت رصيناً من قلب الكتاب قائلاً:

أنا يا حلو، أنا كتاب الحواديت.

حملك «حلو» باتجاه الكتاب فاغراً فاه بعدم فهم، وبدأت قدماه في الارتعاد  
مجدداً وهو يقول بنبرة رعب:

- كتاب إيه يا جماعة؟؟؟ يا جماعة ارجوكم بلاش الهزار ده لو سمحتم، يا حج  
عزازي بلاااش سخافة، حا اشم على فكرة.

عاود الصوت الصادر من الكتاب التحدث مرةً أخرى قائلاً:

- حشتم ليه بقي؟؟ مش انت اللي فتحت الكتاب؟؟ خايف من إيه؟ ده أنا  
مجرد كتاب ورق.

ازدرد «حلو» لعابة وهو يحدق في موضع الكتاب وقد تأكد أن الصوت صادرٌ بالفعل من ناحيته، وبدأت مشاعر الفزع تتملك منه أكثر وأكثر فقال:

- انت إيه بقى بالصلاة على النبي كدة؟؟ إنس والا جن؟؟ لو إنس يبقى أوامر، وقول عاوز إيه عشان أنا على الترتوفة وحفرق الدنيا بببي، ولو جن، قول برضه عشان أغرق الدنيا بببي علطول من غير ما تعمل حاجة.

صدرت ضحكةٌ جوفاءً من قلب الكتاب المفتوح الملقى على الأرض، وخرج منه الصوت مخاطبًا «حلو»:

- جن مين يا ابني؟؟ أنت بتصدق في الكلام ده برضه؟؟ ما عفريت الا بني آدم يا حلو.

بدت بعض علامات الارتياح على وجه «حلو» الذي استعاد صوته بعضًا من ثباته، وإن كانت نبرته ما زالت تحمل كثيرًا من الخوف وهو يقول:

- طب طالما انت إنس الحمد لله، جيت هنا ازاي؟؟ وعاوز إيه؟؟ إنت فين بقى؟ متداري فين لو سمحت؟ انت بعتك الحج عزازي طيب؟؟ وايه اللي مخبيك ورا الكتب كدة يا استاذ، عيب يا استاذ الحركات دي، اظهر، دي مش لعبة يا استاذ.

لأت الضحكة الصادرة من قلب الكتاب ثم صدر الصوت مرة أخرى ليخاطب «حلو» قائلاً:

- لا، اطمن، أنا بقالي أكثر من ألف سنة عايش كدة، وما تخافش على الكتب، أنا أخاف عليها أكثر منك.

اتسعت عينا «حلو» بخوف، وهو يُردّد:

ألف سنة، هي ليلة سوخة من الأول ومش فاقية، انت حتجزر يا عم انت والا إيه الموضوع؟ اتفضل بالذوق اظهر كدة وكلمني، لو الحج «عزازي» باعتك تهرج، والنبي أنا مش ناقص، أنا ركبي أساسًا مش شايلائي، اظهر كدة وقولي دخلت هنا ازاي.

صدر الصوت من قلب الكتاب مرةً أخرى بهدوءٍ قائلاً:

- أنا ما دخلتش يا ابني.

- احنا حنهرج يا حج، انا لفيت البدروم كله بقالي ثلاث ساعات بلف ومكنش فيه بني آدم، والحج عزازي ماكدلي إن مفيش حد دخل هنا غيري.

- يا ابني، انا ما دخلتش، انا جوة أصلاً، ما بخرجش.

- وبعدين بقى في الشُّبْكة السوداء دي، احنا حنهز يا عم انت؟ هو إيه اللي  
ما دخلتش، وما بتخرجش، جوة فين؟؟؟

تحدث الكتاب قائلاً:

- أنا الكتاب اللي انت كنت لسة ماسكه في حضنك ده وشايله زي ابنك من  
شوية.

نظر «حلو» إلى الكتاب لحظة، ثم قال:

- وبعدين بقى في الليلة الكوبية دي؟ كتاب إيه اللي انت جواه يا سيدي؟  
هو أنا ناقص؟؟

وفجأة، ارتفع الكتاب المفتوح عن الأرض، وطار في الهواء ماراً من فوق رأس  
«حلو» الذي تابعه وهو متحجراً في مكانه، ورآه يعبر من فوق رأسه ويستقر  
فوق تلٍّ آخر من الكتب.

انفغر فم «حلو» مرةً أخرى، ثم بدأت ملامح وجهه في التغير إلى الرعب  
حتى كاد يبكي، وهو يقول بنبرة رعبٍ أقرب إلى البكاء:

- ينفع كدة؟؟ تضحك عليا وتقولي إنس، وما عفريت إلا بني آدم، وتشتغلني،

مين حيغيرلي هدومي دلوقتي؟؟ عارف كمية المية دي زمانها بوظت كام  
مخطوطة أثرية في الأرض؟

صدرت ضحكةٌ بسيطةٌ من داخل قلب الكتاب ثم قال:

- أنا يا ابني ببسموني كتاب الأحلام، وببدلعوني يقولولي يا «حليمو».

- حليمه؟؟؟ حليمه مين؟ عاوز مني إيه يا حليمه؟؟

- يا ابني بقولك حليمو، مش حليمه!!

- حليمو، حليمه، قولي عاوز مني إيه لإن كدة حيغيرلي برد من المية اللي  
مبهدلاني دي.

تحدث الكتاب مرةً أخرى قائلاً:

- انا مش عاوز حاجة يا ابني، انت اللي عاوز.

- لا وربنا ما عاوز حاجة، الغيار حاتصرف فيه، مش عاوز حد يغيرلي ربنا  
يخليك ويكرمك.

- هو انت مش فتحت الكتاب؟؟

- كتاب إيه يا عم انت؟؟

- حواديت السعادة يا حلو!!!

- اه فتحته، هو عيب؟؟؟ ما انا فتحت زلّوخ كتاب قبل كدة، وما حصلش حاجة، ايه الجديد في ده؟ ارحم أعصاب أُمي.

قال الكتاب مُخاطبًا «حلو»:

- انا حكيك يا ابني.

رد عليه «حلو» قائلًا:

- اتفضل احكي يا عم الحج اما نشوف آخرتها، كلي آذان صاغية ومياه جارية كمان، البرد حبيهدلني.

صدرت ضحكة قصيرة عن الكتاب، ثم بدأ في سرد قصته:

- انا يا ابني موجود من أيام ملهاش عدد، وشغلتي إنني أتابع الحواديت اللي حصلت في كل العصور وانقلها للناس بعد كدة عشان نخللي جواهرهم الأمل ونصحيه كل فترة، كل الحواديت، وكل حدوتة منهم تبتي تموت كل كام قرن، انزل بيها على تفكير بني آدم في أي مكان في الأرض، أخليه يفكر فيها، ويألفها، وينشرها، وتتعدد تاني الحدوتة، مرة ورا مرة ورا مرة، من الآخر، أنا

شغلتي إنني أحافظ على الحواديت واستمراريتها.

نظر «حلو» إلى الكتاب للحظات، وهو يستمع إلى ما يتلوه عليه، ثم قلب شفتيه وقال له:

- مؤثر قوي الكلام ده، المفروض بقى أنا الريالة تغرقني من فوق، زي ما البيبي مغرقني كدة من تحت، وتبقى دي حدوتة «حلو المبلول وحليمو المخيول»، مش كدة؟؟؟

ضحك الكتاب مرة أخرى، وهو يقول لـ «حلو»:

- طيب يا ابني، قولني تحب أثبتلك صدق كلامي ازاى؟؟

ارتفعت أصابع «حلو» وهي تداعب رأسه وتحكها، وعينه تنظران إلى الفراغ مفكرًا، ثم قال:

- والله يا عم حليمو، الموضوع مش محتاج إثبات، الموضوع محتاج قميص خلف خلاف في حالتك دي.

- يا ابني جرب، قولني بس، اسأل، انت خسران حاجة؟

- يا عم انت اسأل على ايه؟؟ أنا مش فاهم حاجة، اسأل على ابييه؟؟؟ لا

حول ولا قوة إلا بالله، أسأل لك عن حدوتة «سنووايت» مثلاً؟؟؟؟؟؟

- قبل الطلاق وإلا بعد الطلاق؟؟

- طلاق؟؟؟ احنا حنهرج يا جدع انت؟؟؟ بقولك «سنووايت»

- أيوة يا ابني، عارفها، الأميرة والأقزام السبعة، ما هي بعد ما اتجوزت الأمير بكذا شهر، اتطلقت واتجوزت القزم الصغير.

- الله يخرب بيت عيشتك كتاب، دا انت أول كتاب يكون ضارب كمية برشام متنوع عامل دماغ حبر زباله، سنووايت ايه اللي اتطلقت؟؟؟ الكلام ده مش موجود في الحواديت يا كتاب الطبخ انت، انت شكلك مش عارف حاجة.

- يا ابني انا زي ما قلتنك، اللي بأنقله للناس هو الجزء اللي بيخلي جواهرهم الأمل، ما ينفعش مثلاً أحكيلهم ان الأمير اكتشف إن «سنووايت» كانت على علاقة غير شرعية بالقزم الصغير، دي تفاصيل تعمل مشاكل في الحدوتة.

- سنووايت؟؟ علاقة غير شرعية مع القزم؟؟؟ ألطم؟؟؟ ايه الحكاية القدره دي إلهي تولع سنووايت و القزم في ساعة واحدة!!!!

- البيوت ياما بتداري يا «حلو» يا ابني.

يا شيخ، والمفروض أنا بقى اصدق الكلام الفاضي ده؟؟

يا ابني وانا ضحكك عليك أو أغشك ليه بس؟؟؟

مغمم، طيب، سندريلا مثلاً؟؟

اشمعنى؟؟

انت حتخسلي قافية؟ انت كتاب نكت و لا ايه!!!

يا ابني انا قلتنك اسأل وأنا أجابك.

- في مشاكل في حكاية سندريلا؟؟؟

مفيش بيت مفيهوش مشاكل يا «حلو».

يا عم فُكك من جو برنامج «حياتي» ده، انت جي تهرج؟؟؟

- يا ابني سندريلا بعد ما اتجوزت الأمير، طمعت في كل فلوسه لأنها كانت طول عمرها فقيرة، ومع مرور الوقت، خلته يتنازل لها عن كل ما يملك ومضته على كميالات وشغلانة، وطرده في الشارع في نصاص الليالي.

- كميالات؟ دي سندريلا؟؟؟ اومال لو كانت فضة المعداوي كانت عملت فيه ايه؟؟؟ ممممم، لا بس حلوة اللعبة دي، خيالك واسع يا جدع انت، الصنف

اللي بتسفه ده عالي عالي عالي.

- انت لسة مش مصدقني يا حلو؟؟؟

- ما علينا، احكي لي عن، عن، طرزان.

- الغوريلا جاعت ونهشته واتوفي في الدمرداش.

- أخبار سودة ما شاء الله، طيب، عقلة الأصبع؟

- الواد كان يلعب بالعجلة وابوه ما أخدش باله وهو راجع من الشغل قام

هارسه بالجزمة.

- ما شاء الله، لا، نهايات مبشرة كلها، اومال بس عمالين تقولوا عاشوا في

تبات ونبات وخلفوا صبيان وبنات، دي نهايات كلها محتاجة طبيب شرعي

للكشف على الجثث!! وبعدها احتفال نهائي في مشرحة.

- يا ابني انا فُهمتك، الحواديت دي أمل، لازم تدي الناس أمل، وإلا كل حاجة

من حواليتهم يملأها اليأس.

- أيوة بس كدة الحواديت دي كلها كذب في كذب، يعني مثلاً لو حكيت

للناس إن الذئب أكل ذات الرداء الأحمر في نهاية القصة، مش الصياد اللي

موته، حتكون حكاية سليمة والناس ممكن تتعلم منها برضه.

- هو ما اكلهاش، هي أخذت أربعين غرزة في وركها والصيد شغلها في مصنع

سجاد يدوي بعد كدة لما باظت وبقت تعرج بدل الشحانة بالمناديل في

الإشارات.

- الطم يا ناس؟؟؟ أربعين غرزة؟؟ ومصنع سجاد يدوي؟؟؟ ذات الرداء الأحمر

أخذت أربعين غرزة؟؟؟ هي افتتح عليها مطوة في شارع الوحدة؟؟؟ ومصنع

سجاد ايه وهباب ايه؟؟ هي كانت عايشة في كرداسة يا عم المجنون انت؟؟؟

- يا ابني ده اللي حصل، بس الكلام ده سر.

- لا والنبي ايه؟؟!! حامشي أنا أصلي زي الأهل في الشوارع اقولهم إن

سنووايت كانت مرافقة قزم، أو اركب الاوتوبيس واحكي للناس على سنديلا

الواطية اللي ضحكت على البرنس وشفطت اللي وراه واللي قدامه، انت عاوز

تجنني يا عم انت؟؟؟؟

- هو ده الواقع يا «حلو» يا ابني.

- أيوة يا عم حليمو ده واقع مهيب فعلاً، بس اكيد يعني الحواديت بتبقى ليها

حلاوة غير كدة خالص، مش معقول كل الحواديت سودة في نهايتها بالشكل

ده، معقول؟؟؟ مفيش ولا حدوته تكمل للأخر كويس؟؟

- لا فيه طبعا، ازاى بقى؟! طبعا فيه.

- أيوة كدة، قولى، حدوته مين اللي خلصت على خير؟؟؟

- بنت جميلة كدة، اسمها «أليس».

- أيوة أيوة عارفها دي، «أليس في بلاد العجائب» عارفها، مالها بقى، احكيلى

آخرة قصتها ايه جميل فيه؟؟

- اتعالجت من الفصام اللي كان عندها، والوساوس اللي كانت بتشوقها

والخيالات، وبعد سنتين خرجت من المصححة زي الفل، بس سحبت كهربا

كثير قالولي.

- تصدق بالله، انت لولا انك شكلك كتاب مهم و أثري انا كنت استخدمت

معاك أسلوب مش محترم، «أليس»، سحبت كهربا يا كتاب يا فيشة انت؟؟

كل الحدوته طلعت فصام وخزعبلات؟؟؟ روح إلهي يسد نفسك، ودي بقى

بالصلاة على النبي كدة النهاية الحلوة؟؟؟

- ما هي اتعالجت يا ابني وبقت زي الفل!!!!

. عالجوك بتوع التأمين الصحي يا بعيد، قفلتني.

. يا ابني أنت فاكّر إن الحواديت دي تأليف؟؟؟ دي حكايات ومواقف حصلت

لناس فعلاً، وأحنا بننقلها جيل بعد جيل بعد جيل، مش اكتر، نذوّقها، ونحط

فيها أمل، عشان تقرّوها.

- تحط فيها أمل؟؟؟ أمل تلاقيها اتجوزت دراكولا على مراته يا عم حليمو بعد

اللي بتقوله ده .

صدرت من داخل الكتاب ضحكةً مجلجلةً ترددت في أرجاء القبو، ثم خاطب

«حلو» قائلاً:

- الله يحظك يا حلو يا ابني، انت باين عليك ابن نكتة، هما المصريين كلهم

كدة، بس انت باين عليك دمك خفيف بزيادة.

- الله يكرمك يا عم حليمو، بس نصيحة مني، الحواديت دي، انا شايف إنها

ضحك على دقون الناس، معقول؟؟؟ معقول مفيش حدوته واحدة توحد ربنا،

تبقى كويسة من أولها لآخرها؟؟؟ انا لو مكان أي بطل من أبطال الحواديت

دي، كنت حاربت عشان اكمل الحدوته للآخر بشكل جميل وسعيد.

صدر الصوت من داخل الكتاب بهدوءٍ وبنيّةٍ تدل على عدم الاقتناع بكلمات



«حلو» وقال «حليمو»:

- طب عيني في عينك كدة!!!!

- حنهرج؟ عين ايه اللي ابص فيها؟ كتاب بعيون؟ ايه شغل جرايد المخبرين

ده؟

- أقصد أقولك، انت مقتنع باللي بتقوله ده وانت شخصيًا عندك نفس

المشكلة؟

اقتضب وجه «حلو» وتوترت ملامح وجهه حين تذكر مشاكله مع «سعادة»

فاستطرد «حليمو» قائلاً:

- يا ابني أنا عارف كل حاجة، وعارف حكايتك، انت وسعادة، انا شغلتي زي

ما قلتنك، أشوف الحواديت ، وأنقل السعيد منها للناس عشان الأمل، وده

بيخليني طول الوقت اتفرج على حواديت الناس، في كل مكان وزمان.

- ده اسمه شغل مصاطب يا عم حليمو، انت كتاب شغال في أمن الدولة؟

صدرت قهقهة من داخل الكتاب بصوت مرتفع، ثم عاود الكتاب مخاطبة

«حلو» قائلاً:

عمومًا، انت سايب حدوتك الخاصة، وبتعيب في حواديت غيرك، بدل ما

أحاول تصلح الحدوتة اللي كانت سعيدة في أولها، وابتدت تنتهي نفس

نهايات الحواديت اللي عندي، قولي بقى، ايه الفرق بيني وبينك؟؟؟ها؟؟؟

صمت «حلو» فترةً طويلةً، وهو يفكر في الكلمات الصادرة من قلب الكتاب،

إنها كلماتٌ صحيحةٌ بالفعل، لقد أصبحت قصته مشابهةً لكل القصص

المحيطة، الواقع يفرض عليه أن يعيش قصةً مكررةً، أين ذهب حبه لحبيبته

«سعادة»؟؟ أين ذهبت الأشواق والمشاعر الملهبة التي اشتعلت قبل الزواج؟

متى انطفأت؟ أين اختفت؟

تذكر آخر حوار دار بينهما، وأصابته غصة في حلقه شعر معها بمرارة شديدة،

إلى هذا الوضع آلت الأمور بالفعل؟؟ هل ستستمر حياته مع «سعادة» في

هذا الوضع الذي لم يكن ليتخيل أن تصل إليه الأمور؟؟

قطع حبل أفكاره صوت «حليمو» الذي قال:

- لسة في ايدك كل حاجة يا «حلو»، انت يا ابني مع مراتك اللي ممكن

تختاروا طريقة حياتكم، ممكن تبقى زي الحواديت اللي في الكتب قبل

الجواز، وزيتها برضه بعد الجواز، وتبقى حدوتك مكررة، وممكن تغير كل ده.

نظر «حلو» إلى الكتاب بوجومٍ للحظات، ثم قال:

- أنا عمري ما اتمنيت أبداً غير أنني أسعد سعادة يا عم حليمو.

- عارف يا ابني، بس الدنيا بتغير، والظروف الجديدة بتخللي البني آدم أحواله، تتبدل، ومع الوقت، الواحد بينسى نفسه، وينسى كان فين وبيحلم بإيه مع شريكة حياته، ويتدي يبعد، ويبعد، ويبعد، لحد ما فجأة كل واحد يلاقي نفسه في أبعد نقطة عن الثاني وصعب جداً جداً الرجوع والقرب مرة ثانية.

- كلامك للأسف صحيح يا عم حليمو.

- يا ابني أنا كتاب حواديت قديم قوي، وشفت ياما، بس أقولك على حاجة. انت جواك حاجة مختلفة، انت جواك حب كبير لسعادة، والغريب إن الحب ده، لسة موجود عندك بعد الجواز زي ما كان موجود قبل الجواز، حب زي حب الحواديت اللي بنقلها.

ابتسم «حلو» مع سماعه لتلك الكلمات، وظهرت علامات الخجل على وجهه، وهو يقول:

- الله يكرمك يا عم حليمو، بس للأسف الدنيا برضه تلاهي، واحنا عندنا مشاكل طرأت على حياتنا مخيلانا مش مركزين.

قصداً يعني على موضوع الخلفة؟؟؟

ده انت فاضيلي بقى!!!!

يا ابني، لو ركزت، «حتعيشوا في تبات ونبات وحتخلفوا صبيان ونبات»  
لو ركزت ازاي يعني؟؟؟ لا لا لا لا، أنا مش مقصر، انا زي الفل الحمد لله، وميت فل واربعناشر، أنا أسد.

- يا ابني مش قصدي كدة، انا قصدي إنك تركز في حبها، زي ما كنت بتحبها، لازم ترجعلها أحاسيس زمان، إحساس ما قبل الجواز، إنها مرغوبة، إنها محبوبة، إنك تكون كل اللي تمناه هي، إنها تكون سعيدة بس، وعلى فكرة بقى، أنا أقدر أساعدك.

ظهرت علامات الاهتمام على وجه «حلو» وهو يقول بتساؤل:

- تساعدني؟؟؟ تساعدني ازاي يا حليمو؟؟؟

صمت الصوت الصادر عن الكتاب لوهلة، ثم أردف قائلاً:

- شوف ، انت تقدر تقرأ القصص من قلب الكتاب، وتشوف كل بطل من أبطال الحواديت، وكل بطل من الأبطال دول، بيبقى ليه موهبة، يقدر بيها

يسعد اللي حواليه، المهم تكون انت عارف انت عاوز ايه ، وأنا ممكن أساعدك في تفاصيل الحدوثة.

توترت ملامح «حلو» بشدة وهو يفكر في آخر كلمات الكتاب العتيق. بالفعل؟؟؟ ماذا يريد؟؟؟ كيف يمكن أن يعيد لها الإحساس والشعور القديم مرة أخرى؟؟ كيف يمكنه أن يتخطى معها الحاجز الكبير الذي ارتفع بينهما مع مرور الأيام؟؟ خاصة الأخيرة منها؟

لا بد من أن يتذكر الأيام الخوالي، وكيف كان يُدخل إلى قلبها البهجة طوال الوقت، لئلاَّ أن يستعيد رونقه من جديدٍ، ويقدم لها ما كان يقدمه على طول الخط، يقدم لها:

- «السعادة».

نطق حلو بهذه الكلمة وهو ينظر إلى الفراغ، في الوقت الذي تحركت فيه صفحات الكتاب بسرعة فور أن نطقها «حلو»، ثم ما لبث «حليمو» أن نطق قائلاً:

- فعلاً ، انتوا يا ابني بتتشغلوا وسط هموم الحياة والالتزامات، وكل واحد بيبتدي يؤدي دور ثاني خالص غير الاهتمام بشريك حياته، فجأة بتلاقي

سك بتبعد وتبعد وتبعد، لحد ما بييجي عليك يوم وبتلاقي نفسك بتسأل، من الولية اللي معدية من الحمام للصالة دي؟؟ انت عندك حق، السعادة حلوة مفيش كلام، و أنا فتحلتك الكتاب على قسم السعادة، ممكن تقرا في الحواديت و تشوف تقدر تستفيد منها ازاى، السعادة حلوة، حلوة مفيش كلام.

ايه شغل محمود عبدالعزيز في ابراهيم الأبيض ده؟؟

ضحك «حليمو» ضحكة قصيرة، ثم قال متابعا:

السعادة حاجة مهمة، طول عمري في الحواديت بدور عليها، شوف، خلييني اقولك أنا أسهل، أكثر واحد قدم السعادة للناس في دنيا الحواديت، حبيبي، ياما قضينا أيام حلوة زمان، ياما اتفصحنا في عربيته، و هو حاططني ورا في الشنطة، بصراحة كان أبو الكرم كله، وعمره ما كان بيعدي على بيت إلا أما ببسعد أهله، معطاء معطاء مش تهريج.

- ده بتاع اللبن، صح؟؟؟ غريب انت يا عم حليمو، كان بيعدي على البيوت الصبح يصب اللبن في اكياس نايلون ويربطها وتقع منك في أرضية المطبخ، وتنزل تلمه بسفنجة، عارفه انا جو الشحاتين ده.

- يا ابني بتاع لبن ايه بس وبتاع ايه؟ بُص، انت حتخرج للعالم الحقيقي دلوقتي، تشوف مراتك، وتسعدها، انت يا حلو، حَتْبَقِي تاللاجر السعالمادة.

- احلف!!!، معقول؟؟؟ ابوتريكة؟؟؟ الله عليك يا حبيب والديك.

- يا ابني ارحمني وبطل كلام شوية، انت حتخرج دلوقتي للعالمالم الم...

قاطعه «حلو» بسرعة:

- تقصد حتدخلني عالم الحواديت؟ ايوة ايوة، زي ايمان الطوخي في مسلسل الأطفال بتاع زمان ده، عارفه انا عارفه، فاكرك، وحفضل اغني وأقول العقل زينة، ترالم، وسط السفينة، ترالم.

- يا ابني ايمان الطوخي ايه بس؟؟؟ لا، حتخرج للعالم الطبيعي، بشخصيتك الطبيعية اللي حتساعدك على تحقيق السعادة، بس، مش بنفس شكلك ده، لازم تاخذ شكل صاحب الحدوتة، ولازم تقدم اللي في عقلك انت، ولازم مراتك تقتنع باللي حتقدمه من غير ما تعرف انك «حلو»، لازم تفهم منها سر السعادة من وجهة نظرها اللي انت بنفسك لسة قايل أنها ناقصاكم عشان تقدر تقدموهولها بنفسك لما تخرج من هنا.

توترت خلجات «حلو» وهو يستمع إلى كلمات «حليمو»، وبدأت دقات قلبه

في الإسراع وهو يفكر، كيف سيفعل كل هذا؟ في الوقت الذي أكمل فيه الكتاب كلماته:

- تنتهي الحدوتة مع دقات منتصف الليل زي سندريلا بالطبط.

- يعني حَتْبَسْنِي فستان بمبي في موف؟؟؟ ألطم؟؟؟ حستهوى في البرد برة كدة!! الدنيا تلج يا ناس يا جبابرة، بتمطر برة يا جدعانان.

ظهرت علامات الضجر في نبرات الصوت الصادرة من «حليمو» في قلب الكتاب وهو يقول بغضب:

- بس بقى بلاش غلبة، خليني اقول الجملة السحرية عشان تلحق تشوف شغلك.

قاطعه «حلو» بسرعة مرة أخرى قائلا:

- كلمة سحرية؟؟؟ عارقها على فكرة، «افتح يا سمسم» صح؟؟؟

- يا ابني بس شوية!! لا، غلط، مش افتح يا سمسم.

- بس بس بس، عرفتها الثانية، «الهابرا كدابرا» بتاعة هاري بوتر صح؟؟ شفتها في السينما من سنتين.

كاد صوت «حليمو» ينفجر غضبًا وهو يقول بصوت مرتفع:

- حلو، لو نطقت كلمة ثانية حاسطك قرد.

أشار «حلو» إلى الكتاب إشارة مفادها أنه سيصمت ولن يتحدث مرة أخرى.

وفجأة، بدأت الجدران ترتج من حول «حلو» وبدأت تلال الكتب في الاهتزاز،

بينما بدا الصوت جهوريًا صادرًا من قلب الكتاب وهو يرج المكان:

- كل وقت، وله حدوته، بس المهم، تكون مظلوبة.

وعلى الفور، بدأت الأضواء الملونة في الظهور من جديد، وارتفعت الأصوات

المتداخلة بكل اللغات الصادرة من العدم، و لكن هذه المرة، وجد «حلو»

جسده يذوب ويفنى، وتتجه ذراته إلى قلب الكتاب، لم يشعر بأي ألم،

لم يشعر إلا بخمولٍ طفيفٍ، وأخذ جسده رويدًا رويدًا يختفي مُتجهًا إلى

داخل الكتاب، وبعد مرور دقيقةٍ واحدةٍ، عاد كل شيء إلى ما كان عليه من

هدوءٍ، إلا شيئًا واحدًا فقط: لم يكن «حلو» موجودًا في القبو، كان قد اختفى

بالكامل في قلب صفحات الكتاب.

\*\*\*\*\*

## ٦

ألوانٌ وألوانٌ وألوانٌ،

هذا ما رآه «حلو» في اللحظات التالية، كان يطير وسط كمٍّ هائلٍ من الألوان

المتداخلة، تحيط به أصواتٌ وكلماتٌ بعددٍ لا حصر له من اللغات.

لم يُعَدَّ يشعر بالزمان أو المكان، لم يعد يشعر بالاتجاهات أو يستطيع حتى

أن يُحدِث أي شيءٍ خلال ذلك الوقت.

وفجأةً، اختفى كلُّ ما يحيط به في لحظةٍ واحدةٍ، ووجد نفسه واقفًا في ردهة

منزلٍ خشبيٍّ ذي تصميمٍ بسيطٍ، تحرك «حلو» بتربُّبٍ محاولاً التأكد من قدرته

على السيطرة على تحركاته، وفي أثناء محاولته التحرك، لمح شيئًا ما يتحرك

على الجدار الموازي له، فارتجف برعبٍ وتراجع خطواتٍ إلى الخلف بسرعةٍ،

واستدار لينظر إلى ذلك الجسم المتحرك الذي تراجع معه بتزامنٍ عجيبٍ.

ولكنَّ رعبه تحوَّل إلى فزعٍ حقيقيٍّ، ظهر واضحًا في شكل صرخةٍ طويلةٍ رفيعةٍ صدرت من حلقه وهو يُطالع ذلك الكائن الضخم الذي ظهر أمامه والذي اتضح سريعًا أنه ليس سوى انعكاس صورته في المرأة.

صاعقةٌ هوت على رأس «حلو» وهو يُطالع نفسه في المرأة من بعيدٍ، مما جعله يقترب منها بحذرٍ، مُحركًا أطرافه بحركاتٍ عشوائيةٍ، فقط ليتأكد أنَّ ذلك الجسد هو جسده بالفعل، ثم ما لبث أن صرخ بلوعةٍ قائلاً:

- الله يحرِّقك يا حليمو الكلب، إيه ده؟؟ بابا نويل؟؟ أَلطم على وشي؟؟ قصدي أَلطم على كرشي؟؟ كل ده كرش؟؟ وإيه ده؟؟ يا مراري، إيه الحمار ده كله؟؟ كل ده أحمر؟؟ وأنا اللي كنت معترض على فستان سندريلا البمبي!!، أديني لأبس أحدث منتجات محلات «جوبا» أهو، إلهي وانت جاهي، يوريني فيك يوم يا «حليمو»، أروح فين بالجوانتي ده؟؟ والزعبوط اللي على راسي ده؟؟ والجزمة فرو الخروف دي، جوتشي دي؟، أروح بيها فين الساعة دي؟؟؟ ده المطر حبيدلها وحتشيل طين الشارع كله.

ظل «حلو» ينظر إلى نفسه في المرأة فترةً طويلةً وهو ينظر إلى شكله الذي

غير تمامًا، كرشٌ ضخمٌ، مؤخرةٌ كبيرةٌ للغاية، جسدٌ مترهلٌ.

لم يقطع نظراته إلى المرأة إلا دقائق الساعة التي أشارت إلى الخامسة صباحًا مع انبعاث أول شعاع للشمس في الأفق ظهر من نافذة المنزل، مما جعله يقول بتلقائي:

- يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم، إيه ده؟؟ إيه اللي انا بقوله ده؟؟ بابا نويل إيه اللي حيقول يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم،؟؟ ده بابا نويل والا واقف على مكتة عجيب الطعمية اللي على أول الشارع عندنا؟؟

بدأ «حلو» في البحث حوله، عما يشير إلى مكانه، ولكنه لم يستطع التعرف على هذا المكان أبدًا.

توجه إلى باب المنزل الخشبي، وفتحه لتصطدم به برودة الجو القارصة، ومساحةٌ من الثلوج تمتد امتداد البصر، وإلى جانب المنزل، كان يقبع الشيء الأكثر غرابة الذي رآه في حياته.

عربة «بابا نويل» التي تجرها ستة أزواجٍ من حيوانات الرنة الثلجية، وقد امتلأت مؤخرة العربة بعشراتٍ وعشراتٍ من الهدايا المغلفة والألعاب الملونة.





وقفت «سعادة» للحظات، ثم قالت مخاطبةً نفسها بصوتٍ منخفضٍ:

- نزل بدري ليه كدة؟؟ تلاقيه يا حبيبي ما فطرش ومعملش شاي، وصحي نزل على طول على لحم بطنه، اخص عليكى يا سعاللادة ، اخص عليكى، يا حبيبي يا حلو، أنا أسفة يا حبيبي.

وبدا على وجهها علامات ندمٍ عميقٍ ومحاسبةٍ للنفس، ثم أكملت بخفوتٍ:

- يا ترى قضى الليلة دي لوحده ازاى؟؟ دي الشقة زي ما سبتها بالظبط، شبكله ما دخلش المطبخ شرب كوباية مية حتى، انتي وحشة يا سعادة، انتي جزمة قديمة.

جلست على الكرسي المواجه للباب، وظلت تفكر قليلاً، ثم ما لبثت أن نهضت مرةً أخرى بعد برهةٍ قصيرةٍ وهي تقول:

- أنا كمان ساعتين ثلاثة كدة، أكون خلصت شوية شغل في البيت، وأنزل السوق بقى، اشتري شوية حاجات، وأعمله أكلة حلوة من الحاجات اللي بيعبها حبيبي، اخص عليكى يا سعاللادة، اخص عليكى.

واتجهت إلى المطبخ وبدأت في عاداتها اليومية بمطاردة بعض الحشرات الزاحفة التي دفعها قدرها الأسود للخروج في تلك اللحظة ظناً منها أن البيت

قد خلا من ساكنيه.

ظلت تطاردها بتؤدةٍ وهي تفكر، كيف أمضى ليلته الأولى دونها؟؟! ولكنها لم تعلم أبداً أن ليلته السابقة كانت حافلة بكل أنواع الإثارة، وأكثرها دهشةً.

\*\*\*\*\*

ظهر نهر النيل مع ظهور أشعة الشمس التي بدأت أشعتها تنعكس على سطحه، لتحول لون النهر إلى لونٍ ذهبيٍّ، وتداعب عيون الطيور في السماء، وعيني «حلو» أيضاً، الذي كانت العربة تسير به بسرعةٍ رهيبَةٍ طوال ما يزيد عن ثلاث ساعاتٍ من الزمن في ذلك البرد القارس، وعلى ذلك الارتفاع الشاهق، مما جعله يقول بإرهاقٍ:

- خلاص، مترين كمان وحرّج في شنطة العربية، كان لزمتم إيه أم المخمضة دي يا حليمو إلهي تهتد، مكانش ينفع تحدفني في حطة قريبة، لازم رحلة السفر دي كلها؟؟ وشي نَمَل من البرد والتلج، مش حاسس بمناخيري خلاص، حاسس اني بقيت عبارة عن زعبوط ونازل منه عينين، ولا الدقن دي عامله حاجة، متقلّة وشي والسلام.

تباطأت سرعة العربة التي تجرّها «الرنّة»، وبدأت في الهبوط واقتربت من

سطح الأرض بسرعة بينما بدأ «حلو» ينظر حوله قائلاً:

- ايه ده؟؟؟ مش هننا يا جدعان، دي رمسيس دي، أنا ساكن في المعادي يا، يا، يا بهاءااايم، مش هننا.

واصلت حيوانات الرنة الهبوط، حتى استقرت على الأرض في قلب ميدان رمسيس في تمام الساعة التاسعة صباحاً، في وقت الجحيم.

«اتحرر ررك ياااا بجججججم»

قالها أحد سائقي السيارات الملاكي.

«طول ما البلد فيها عربجية زيكم مش حنفلح ولا حنشوف خير أبداً، اتحرك يا حيوان»

قالها أحد سائقي الأجرة.

«خَشْ عَجَلَةً يَا بَرْنَسْ عَشَانْ لَوِ الْعَجَلَةُ إِتْحَكْتَ حَازِلْ أَعْمَلْ مَعَاكِ السَّلِيمَةُ»

صاح بها أحد سائقي السرفيس.

« إيه اللي انت لابسه ده يا راجل يا مُهزاً »

قالتها عجوزٌ شمْطاءٌ مُسنَّةٌ كانت تعبر الطريقَ مرتكزةً على عصا خشبيةٍ

«ما تیجی»

والها أحد المخبولين المجاذيب الذين يبدو على هيئتهم الجنون بشعر طويل  
وجهه متسخ وهو مرتكنٌ إلى أحد أسوار الميدان الحديدية.

وبين صرخات هذا وذاك، وقف «حلو» فوق ظهر العربة منتصباً لا يدري ماذا يفعل، ثم قال مخاطباً حيوانات الرنة:

عاجبكم كدة؟؟؟ انا قلت كدة؟؟؟ حسبي الله فيكم، دا احنا حتى لو حبينا نتقبل نظير ثاني مش حنعرف من الزحمة إلهي يوعدكم بدب قطبي يطلع مصارينكم في ايده، أعمل ايه أنا الساعة دي؟؟؟ ده وقت انفجار ميدان رمسيس يا كفرة، طب كنا زلنا على الكورنيش، لما انتوا ما بتعرفوش تحضنوا؟ تسوووووووا لبيه؟؟؟!

بدأت أبواق السيارات ترتفع باحتدادٍ بينما «حلو» يحاول مخاطبة الجميع معتذراً وهو في زي الاحتفال الرسمي، ويحاول امتصاص غضبهم بلا جدوى، ولم يجد في النهاية مفراً من الإمساك بلجام حيوانات الرنة ، ثم محاولة البدء في تحريك العربة التي توسطت ميدان رمسيس وسط أبواق السيارات المعترضة بلا توقف.

وبدا في شد اللجام قائلا:

«إليك ليك ليك، شينييني، شينييني الله يحرقكم، شينييني يا بهاءا اليم»

- عايجكم قلة القيمة دي؟؟؟ ينفع كدة؟؟ كل الشتيمة دي بسببكم، ولسة،  
 حنسمع قدها خمسين مرة واحنا رايعين لحد المعادي، الله ينتقم منك يا  
 حليمو، إلهي تشوف الذل اللي أنا شوفته، يوعذك بشوية عيال صغيرة تقطع  
 صفحاتك و تعملها دبابير بقتلة من اللي لسة حشوفه.

- يا خرابا

«أربت الساعة على الواحدة ظهرًا، في الوقت الذي ظهرت فيه عربة «حلو» التي تجرها حيوانات الرنة وهي في حالة يرثى لها من آثار الطين الذي ملأ الشوارع في هذا الوقت من العام نتيجة الأمطار الغزيرة.

كان «حلو» في حالة إنهاك، ظهر من خلال نبرة صوته وهو يخاطب حيوانات الرنة للمرة الألف هذا اليوم:

«سعادة»

من الثقل، ورغم علامات التعب على وجهها، إلا أنّ «حلو» قد ذاب عشقاً فور رؤيتها، مع تداخل الأفكار في رأسه وهو يتساءل، هل عادت إلى المنزل؟؟ أم أنها في طريقها لمنزل والدتها القريب من منزلهما؟؟ كيف تشعر الآن؟؟ ها هي تعود من السوق حاملةً العديد من المشتريات التي تدل على أنها سوف تُعدُّ وجبةً كاملةً، بكل تأكيد هذه وليمة لأكثر من فردٍ، على ما يبدو أنها ما زالت عند والدتها، إنها دائماً ما تحب له السبانخ، اللعنة، إنه يكره السبانخ بشدة، ولكن، لا يهم، المهم الآن أنها أمام عينيه، وها هي فرصته لمحاولة إصلاح ما أفسدته الأيام بينهما وأفسده عدم اهتمامه بها.

في ثوانٍ معدودةٍ كان «حلو» يشدُّ لجام الرنة وهو يصيح بلهجةٍ أمريةٍ:

- يييييييس، يييييييس، هوووووبوب

توقفت الحيوانات طواعيةً، فقفز من داخل العربة التي اختفت ألوانها البراقة، وأصبحت نسخةً مكررةً من كلِّ عربات الكارو التي تجوب شوارع المدينة بلا رقيبٍ أو حسيبٍ، واتجه بخطواتٍ متثاقلةٍ نحو «سعادة» محاولاً اللحاق بها وسط الشارع الهادئ الخالي من المارة تماماً كعادة معظم شوارع حي المعادي، وحين اقترب منها قال لها بشاعريةٍ بصوت «بابا نويل»:

أقدر أساعدك يا مدام؟؟؟

انتهضت «سعادة» وكأنَّ صاعقةً من السماء قد ضربتها حيث لم تشعر باقترابه مما أدى إلى سقوط بعض أكياس الخضروات من يدها وتبعثر محتوياتها مما دفع «حلو» إلى الانقضاض على محتويات الأكياس المبعثرة سريعاً مُنحنيًا جاثيًا على ركبتيه مُحاولاً إنقاذ ما يمكن إنقاذه وهو يقول:

- يا دي السبانخ، قُطعت، وقُطع سيرتها.

بينما وقفت «سعادة» متحفزةً وهي تراقب ذلك المُهرج ذا الرداء الأحمر الذي افترش الأرض بجسده المترهل ولحيته البيضاء التي شابتها علامات الاتساع بفعل السير في الشوارع وسط الأتربة منذ الصباح، وهو يعيد تعبئة ثمار الخضروات داخل الأكياس مرةً أخرى وينهض ليمدَّ لها يده بها وهو يعطيها أفضل ابتساماته ويقول:

- الحمد لله، لميتلك كل الحاجة، بس افكر السبانخ حترمي، مش حنتفع، ارميها أحسن.

لم تنطق «سعادة» وهي تمُدُّ يدها بحذرٍ لتأخذ منه أكياس الخضروات بتوجسٍ، مما جعله يحاول كسر حالة السكون بقوله:



«يا باشا كان ماسكها بيبوسها بالعافية وخلصناها من ايده المتوحش»

قالها شخصٌ ما.

«يا باشا خطف شنطة فلوسها وحصلناه في الشارع هنا واخذنا منه الشنطة»

تطوَّع شابٌ ما لوصف تلك الفعلة البطولية.

«يا باشا ده ماشي وراها من الكورنيش لهننا بالعربية وعمال يكلكسلها عشان

تركب معاه والسست محترمة وفي الآخر نزل من العربية ومد ايده عليها

وشدها من الجيبة»

قالها سايس يعمل بالقرب من المكان، وهنا انعقد حاجبي الضابط، وهو ينظر

إلى «حلو» الذي أفقده كمية الأكاذيب والخيالات قدرته على النطق وقال

له بلهجة حادة:

- يا سواد ليل ابوك، بطاقتك فين ياض؟؟

امتدت يد «حلو» تتحسس ملابسه التي خلت من الجيوب تمامًا وهو يبحث

عن الفراغ في إشارة منه أنه لا يحمل أي اثبات شخصية، وعاود النظر إلى

الضابط بابتسامةٍ بلهاءٍ بلا كلمةٍ واحدةٍ، وهو الأمر الذي استوعبه الضابط

بلى الفور، فقال بحدة:

كمان مش شايل بطاقة؟؟؟ الله، لأ بجد الله على الإبداع، أنا مش عارف

«أعمل فيك إيه بصراحة»

هنا بدأت علامات الفزع تظهر على وجه «حلو» وهو يقول للضابط:

«سعادتك في سوء تفاهم، الحكاية كلها وما فيها إني كنت عاوز اسب..»

قاطعه الضابط بعنف:

«انت تحتكيلي حواديت؟؟؟ إخرس، دا انا حخرب بيتك، ماشي من غير

بطاقة، وكمان متحرش؟!!

ثم التفت إلى «سعادة» وهو يتمالك نفسه مُتحدثًا إليها بهدوء قائلاً:

- ممكن بطاقتك لو سمحتي اطلع عليها؟

استجاب «سعادة» بسرعةٍ إلى طلب الضابط وأخرجت بطاقتها الشخصية

التي نظر إليها الضابط سريعًا، ثم أعادها إليها وهو يقول:

- معلش، حنتحتاج نعمل محضر، عشان الحيوان ده، أنا النقيب «عمار

محمد» من قسم المعادي.



توتر «حلو» وهو يستمع إلى «سعادة» وهي تقول:

- آه يا ريت نعمله محضر يا باشا، وتحبسوه، كفاية القرف اللي في الشوارع،  
إحنا مش ناقصين قرف بصراحة.

- اطمني حضرتك، إحنا نعرفه شغله، حنحتاج منك بس زيارة للقسم عشان  
نقلل المحضر على الساعة تسعة بليل، مجرد إمضاء بسيط واحنا حنضبط  
المحضر.

استدار الضابط «عمار» وسط الجموع المحتشدة و امتدت يده لتمسك  
بتلابيب ملابس «حلو» الحمراء، وهو يقول:

- وكمان لابس أحمر، إيه الحلالة دي؟ إيه العظمة اللي انت فيها دي؟؟ دا  
إحنا يومنا زي الفل ان شاء الله، دا انا حوريك أيام.

ارتعدت فرائص «حلو» وهو يسير إلى جانب الضابط ولا يقوى على الرفض  
وإلا نهشته الجموع المحيطة، وما هي إلا خطوتان فقط وتذكر «حلو» العربية،  
حيوانات الرنة، وسيلة عودته، توقف وهو يقول للضابط:

- حضرتك بس، ممكن بس العربية، عشان ما ينفعش نسيبها مركونة هنا.

وأشار إلى العربية التي أحاط بها العديد من الناس وارتكنوا إليها وهم يتابعون

الشهد منذ البداية، مما دفع الضابط «عمار» إلى القول بدهشة:

وكمان كاروو؟؟ الله، الله، تصدق بالله؟؟ انا ارتحتك و قلبي اتفتحك، أنا  
«ناس ان اليوم انهارة خلاص كدة، مش محتاج حاجة ثاني، فين ياض رخص  
الكاروو؟؟

رخص إيه حضرتك؟؟

رخص الكارو ياض؟؟ والا كمان مفيش رخص؟؟؟ والنبي تقول مفيش؟؟  
وحياة أبوك ما يبقى ليها رخص يا شيخ.

- لا حضرتك عشان الحلفان، هي ملهاش رخص بصراحة، يا رب تكون انبسطت.  
- الله عليك ، الله عليك يا حبيب والديك.

- بس حضرتك دي مش كارو أصلاً!!

- أومال دي إيه إن شاء الله؟؟؟

- دي زلاجة سعادتك.

- يا عيني؟؟ ياااا عيني، تلاجة؟؟؟ وانت راكب التلاجة وماشي بيها في الشارع



كددة؟؟ طب ده حتى الجو برد لوحده مش محتاج تلاجات، مش خايف

تستهوي يا حبيبي؟

- يا باشا بقولك زلاجة، زلاااجة.

انقلبت سحنة الضابط في عنف وهو يصرخ:

- اخرس يا حيوان، وكمان اتناشر حمار؟؟ اتناشر حمالار؟؟؟ في ايه بالطبط؟

انت سارق الحمير دي ياض؟

- يا فندم دي مش حمير والمصحف!!

- انت حتستعماني يا روح أمك؟ بتستهزأ بيا قصاد الناس؟ اومال دول ايه؟

زحالف؟

- يا فندم دول حيوانات رنة ثلجية، مش حمير سعادتك.

- اخرس بدل ما اهزقك، انت راجل كبير ما تجيبش لنفسك الضرب قصاد

الناس، قال رنة قال، اخرس بدل ما ارنك أنا قلم يَفُوقك من اللي انت فيه.

انت ضارب ايه بالطبط؟

- بص أنا حفيهم سعادتك الحكاية، بس بعيد عن الناس الله يكرمك، ومفيش

اعني للقسم ده خالص، إلهي يستر عرضك.

اسرك الضابط «عمار» وهو مُمسكٌ بملابس «حلو» إلى جانب الطريق

«لهرت على ملامحه علامات الاهتمام وهو يقول:

طب قول كدة، فهمني وتعالى معايا دوغري.

- بص حضرتك، الموضوع بسيط، أنا بابا نويل وكنت جي اشوف مدام سعادة

عشان هي محتاجة السعادة، والعربية دي أنا جاي بيها من القطب الشمالي

وكان المفروض انزل بيها المعادي على طول بس للأسف نزلت بيها غلط في

رمسيس، تقريباً شحنها خلص، وقعدت ساعة أدور ملقتهاش مدخل يو إس

بي اشحنها منه سعادتك، ومعايش حتى شاحن ولاعة عربية، واتض...

قاطع الضابط «عمار» بغضبٍ هادرٍ وصوته يكاد يسقط وريقات الشجر من

فوق فروعها:

- اخضخزرررس، انت بتستعبط يا روح أمك، دا انا حانفخك، ان ما لفتك

محافظات مصر كلها، ما ابقاش أنا عمار.

وأشار بعنفٍ إلى اثنين من العساكر المرافقين له، قائلاً بعنفٍ:



وشعورٌ داخليٌّ غريبٌ يُلجُّ عليها بشدةٍ، شعورٌ بأنها قد قابلت هذا الشخص سابقاً، أو أنها تعرفه قبلاً...

تعرفه بشكلٍ غريبٍ وقريبٍ.

\*\*\*\*\*

كانت عقارب الساعة تقترب من التاسعة مساءً حين دخلت «سعادة» إلى رواق القسم تتقدمها أمها، التي كانت في حالةٍ مزاجيةٍ عكسةٍ، وصوتها ينم عن غضبٍ شديدٍ وهي تخاطب زوجها و«سعادة» بصوتٍ عالٍ غيرٍ مباليةٍ بالعابرين في رواق القسم قائلةً:

- ما هي لو كان ليها راجل أنيها مكانش حصلها اللي حصلها، إنما حقول إيه؟ شُرابة خُرج ولا ليه لازمة ولا فيه منه أمل، بليتونا بيه إن كان إنت والا بنتك.

قطبت «سعادة» وهي تتلفت حولها لتطالع نظرات الناس من حولها ثم اقتربت من أمها قائلةً بعدةٍ:

- يا ماما لو سمحت، لو سمحت يا ماما قلتك مليون مرة ما تتكلميش عن حلو بالطريقة دي.

نظرت لها الأم بعدم اكتراثٍ، ثم تابعت:

مش كنتي كلمتي سبع البرومية يجي معاكي القسم طالما محموقه عليه «وي كدة؟ والا فالحة بس تدافعي عنه ووقت المصايب ما تلاقيهوش؟

احمر وجه «سعادة» غضباً وهي تقول:

- أنا أسفة يا ماما، دي آخر مرة اقولكم على حاجة وحابقي بعد كدة أتصرف لوحدي، هو في الشغل واناخر شوية على غير العادة، أنا حتى سايبة الأكل متحضر على السفرة وكنت مستنيها، آخر مرة يا ماما، آخر مرة.

ربت الأب على كتف «سعادة» وهو يقول لها بحنانٍ:

- بالهداوة يا بنتي، أمك ما تقصدش اللي بتقوله.

توقفت الأم دفعةً واحدةً وهي تلتفت إلى الأب بشراسةٍ مما جعله يتوقف هو الآخر، وقالت:

- لا، أقصد طبعاً، انت حتقولي على مزاجك؟ مش كفاية مجوزها على مزاجك وطاوعتها في جوازة المنكوب على عينه؟ أنا قاصدة، قاصصصصة.

لم ينطق الأب الذي شعر أن الأم على حافة الانفجار، و استكمل الجميع السير حتى وصلوا إلى مكتب الضابط «عمار» بعد السؤال عن مكانه وما أن

دلفوا إلى الداخل حتى استقبلهما الضابط بترحابٍ بعد أن تذكر «سعادة» قائلاً:

- أهلاً وسهلاً أستاذة سعادة، اسمك مميز ما يتنيسش، أهلاً وسهلاً يا حاببة،  
اتفضل يا حج، متأسفين جداً اننا نزلناكم في الجو ده بس معلش بقى  
محتاجين نخلص إجراءات المحضر وعلى العموم المحضر جاهز أهو وعلى  
الإمضاء بس، وبرضه هنستأذنك محتاج أبعت أجيब الراجل المهزأ عشان  
قرفنا طول النهار ولازم يمضي هو كمان على المحضر.  
توترت «سعادة» وهي تجيب الضابط:

- أنا اللي متشكرة لاهتمام حضرتك، وبيا ريت نخلص بسرعة ونمشي لإني  
مش عاوزة أقعد كثير.  
- لا أبداً، ثواني ونخلص.

وامتدت يده لتضغط زرّاً فوق المكتب دخل على إثر الصوت الصادر عنه في  
الخارج، أحد المخبرين الأشداء وهو يؤدي التحية العسكرية ليأمره الضابط  
«عمار» قائلاً:

- هاتلي الراجل المجنون اللي لأبس أحمر من الحج بسرعة.

المُخبر التحية وانصرف لتنفيذ الأمر، و ما هي إلا لحظات حتى عاد  
«سعدته» «حلو» الذي بدا على ملامحه الإجهاد وتمزقت أجزاء من ملابسه  
«أور أن رأى «سعادة» ارتسمت على ملامحه ابتسامة عريضة ووقف ينظر  
إلى بهيامٍ مما دفع الأم إلى الصراخ فيه:

إيبيبيبيبي؟ في إيه يا راجل انت؟

قال «حلو» بصوتٍ منخفضٍ، وكأنه يحدث نفسه:

إنتي جيتي؟ إن شالله تنطسي رصاصة غلط.

تدخل الضابط «عمار» وهو يقول مخاطباً «حلو» باحتدادٍ:

انت بتقول إيه يا حيوان انت؟ مش كفاية الجنان اللي عاملهولنا في الحجز  
جوة وسط المساجين.

- يا باشا حرام عليك، دول مرمطوني وبهدلوني، مجرد محاولة حفاظي على  
إل ال الزعبوط كانت محتاجة معجزة جوة، السفلة.

- اخرس بقولك.

- معلش حضرتك بس أنا محتاج أسأل على الزلاجة اللي كانت معايا، ودتوها





عمر الهدايا ولا الحركات ولا الكلام ما حققوا السعادة من القلب لأسرة.

وقف «حلو» مشدوهاً بكلمات «سعادة» وهو ينظر لها مستمعاً، ثم ما لبث أن قال لها بتساؤل:

- وجوزك يا بنتي مكانش محسسك إنك محور حياته؟!

أطرقت «سعادة» رأسها بحزنٍ وهي تقول بصوتٍ خافتٍ:  
- كان.

شعر «حلو» بغصةٍ في حلقه بينما انتفضت أم «سعادة» قائلةً بحدة:

- انت حتعملنا مُصلح اجتماعي يا مجرم انت؟ إنت مالك ومالتا، الراجل ده لازم يتعدم يا حضرة الضابط.

هَبَّ الضابط «عمار» من مجلسه مرةً أخرى وهو يوجه كلامه إلى «حلو» مُحتدًا:

- بقولك إيه يا راجل يا مجنون أنت، خلصني وأمضي على المحضر عشان أخلص من الهم ده، أنا مش فاضي للجنان ده منك والا منها.

نظر له «حلو» قائلاً بتحدٍ:

مش ماضي على حاجة.

تصاعدت الدماء إلى وجه الضابط «عمار» وهو يقول:

- وماله، لينا صرفة إحنا مع بعض.

وامتدت يده لتضغط الزر فوق المكتب ويدخل على إثره مخبران ليقول لهما الضابط «عمار»:

- خدوه عشوه بقي عشان جعان.

انتفض «حلو» والمخبران يبدآن في جرّهم خارجاً وهو يقول:

- عشوه! دي شكلها ضرب، وأنا مش حسكت، لو حد ضربني أنا مش حاسكت على فكرة.

ثم نظر إلى «سعادة» قائلاً والمخبران يواصلان محاولة سحبه بالقوة و«حلو» يقاوم باستماتة:

- على فكرة، طول عمرك كنت محور حياته، أنا متأكد من كدة، عمره ما فكر في أي حاجة غيرك، بس تلاقية ملهي في الشغل زي بقتيبب الرجالة

وأخيراً نجح المخبران في سحبه خارج الغرفة وسط صراخ «حلو» وصفق



الباب وراءه تاركًا «سعادة» وعقلها يصرخ بأن هذه الكلمات وهذه الطريقة ليست بغريبة عنها أبدًا.

\*\*\*\*\*

على جدران حجرة المأمور، أشارت عقارب الساعة إلى الحادية عشر والنصف مساءً، بينما وقف «حلو» وهو يتأوه بين المخبرين داخل الحجرة وهو في حالة يرثى لها أمام مكتب الضابط، وتبدو على ملامحه كدمات متفرقة تشير إلى تعرضه لضرب مبرح طوال ساعات مضت دون توقف.

قال الضابط «عمار» وهو ينظر في هاتفه المحمول بانتباه دون أن يلتفت إلى «حلو»:

- ها يا روح أمك؟ مش عاوز تقول انت مين وتبع مين؟؟ سيك من موضوع محضر التحرش ده عشان ده مش مزاجي خالص، دي حاجة كدة بنعملها عشان نرضي السادة المواطنين في الشارع، خلينا في المهم اللي حييجيلي الترقية، طيب، المسدسات وطلعت بلاستيك، إنما حجم وتصميم طبيعي وشكلك عاوز تستعملها لترويع المواطنين الآمنين، أدّي أول تهمة، والسواريخ، حتستعملها في إحداث حالة من الهرج والمرج والبلبلّة وتعتبر في مقام

قنابل صوتية، أدّي تهمة ثانية، الدقن ثابتة، ومفيش بطاقة، قولنا بقى على اسمك عشان نقفل المحضر خلينا نخلص، وسيك من موضوع بابا نويل ده عشان مرارتي مش مستحيلة، عمومًا أنا مش مروح، نباطشي لحد بُكرة زي دلوقتي، وحكون سعيد جدًا جدًا جدًا اني امرمك لو ما خلصتناش.

رد «حلو» بصوت يكاد لا يقوى على الخروج:

- تمرطنتي؟؟ ده على أساس انكم بتعملولي تاي مساج من الصبح مثلاً؟؟؟ حضرتك أنا خسيت أربعين كيلو من الضرب حضرتك، ارحم حتى البشوات اللي بيضربوني، أيديهم ورمت من الضرب والاقلام والشلايت.

ترك الضابط هاتفه المحمول، ورفع رأسه إلى «حلو» مُبتسمًا وهو يقوم من مجلسه ويقول بتشفٍ واضح:

- ضرب؟؟ ضرب إيه لا سمح الله؟؟ انت جبي مضروب جاهز، احنا حتى خلصناك من إيد الناس اللي كانت عاوزة تفتك بك في الشارع لولا تدخل قوات الشرطة العقلاء - اللي هما احنا طبعًا - وحافظنا على روحك من الهلاك، شوف الرحمة.

- لا يا راجل؟؟

- اوامال!!! والضرب اللي بتقول عليه ده، لسة حشوفه أما نوديك المكان إياه، المكان اللي بنبعت فيه الناس اللي ما بترجعش ثاني، حبيب قلبي، انت بالأحمر ده حتبقي صيدة هناك من أول ما تدخل، دول ما شافوش لون غير الاسود من يجي ستتين.

انهار «حلو» من شدة العنف حيث بدأ المخبران المجاوران له الاستعداد لمواصلة الضرب مرة أخرى في انتظار إشارة الضابط، وقال في صوت يقترب من البكاء:

نظر له «حلو» بلامبالاة، وهو يقول:

تراجع الضابط ليستند إلى طرف مكتبه، وهو يقول:

- وبعدين بقى في الليلة الزيت دي؟؟؟ عرفنا إن زفت اسمك حلو، قولوهلنا وخلصنا.

أطرق الضابط برأسه بوجوم، ونظر إلى الأرض بيأس، ثم عاود رفع رأسه إلى «حلو» وهو يقول بهدوء:

إلى الغرفة.

موافق على الضرب عادى، انما ده مش موافق عليه.

تقدم «فرج» خطوةً أخرى، واستمر «حلو» قائلاً:

- طيب أنا عاوز فرج بتاع فيلم الكرنك، ده شكله مش كويس، الثاني كان شكله محترم، ده شكله حيوان.

كشر «فرج» عن أنيابه وامتدت يده نحو أزرار قميصه وبدأ في فكها ببطء،  
مما جعل «حلو» يرتعد وهو يقول:

- شكل اللي ينطس في سطورهِ حليمو كان يقصد السندريلا بتاعتنا احنا، مش بتاعة الجواديت، واضح اني حادي دور سعاد حسني في الزمن المعاصر.

تقدم «فرج» خطوةً أخرى بعد أن فك كل أزرار قميصه، وامتدت يده  
وأمسكت بكتفي «حلو»، مما جعل «حلو» يصرخ قائلاً:

- ثواني يا باشا، ثواني.

نظر إليه الضابط بغضبٍ قائلاً:

- استنى يا ابني، خير يا روح امك يا حلو يا جميل؟؟

- ممكن اسأل حضرت سؤال واحد بس، سؤال واحد.

- أوامر يا حبيبي، نفسك في ايه قبل ما تحلو كمان وكمان؟؟

- الساعة حضرتك.

- نعم يا خويا؟؟؟!

- الساعة كام حضرتك؟؟؟

نظر الضابط إلى ساعته ثم قال:

- اتناشر يا قمر.

- اتناشر بالظبط معاليك؟؟؟؟

- يعني داخلة على اتناشر.

- ممكن تحدد معاليك.

- إلا دقيقة تقريباً، عاوز حاجة ثاني يا حلو، انت يا حلو؟؟

- حاجة واحدة بس حضرتك.

- خير؟؟؟ إيه ثاني؟؟ أوامر يا جميل.

- ممكن تديني دقيقة واحدة مع فرج؟؟

- ياختي جميلة؟؟؟ ليه يا حلوة؟؟؟



أولع فيك وسط الكتب دي ولا من شاف ولا من دري.

صدر صوت «حليمو» من قلب الكتاب العتيق بهدوءٍ حَذِرٍ قائلاً:

- بصراحة، أنا ما شفتش حظ مهيب كدة طول عمري، عمري ما شفت حدوتة بالشكل ده.

- حدوتة؟؟ بس ما تقولش حدوتة، حدوتة إيه يا بواقي سور الازبكية إنت، ده كان حبيقي تحقيق في صفحة أخبار الحوادث عن أول بابا نويل في التاريخ يخرج من قسم شرطة شایل في ايده عيل، انت كنت مستني إيه؟؟؟ أما نعلن خطوبتنا أنا وفرج وأمناء الشرطة في القسم بيتدوا يوزعوا كوفرتينا؟؟ ده أنا كان بيني وبين الفضيحة مسافة شعر شنبه بس.

رد «حليمو» قائلاً:

- يا ابني إحنا متفقين، اليوم بيتنهي اتناشر بليل، مكانش ينفع أتدخل خالص إلا في حالات الضرورة القصوى.

- ودي حضرتك كانت حالات أمراض جلدية مثلاً؟؟!!

- إفهمني، في الوقت ده، أنا كل اللي بعمله إنني بنقل الحواديت زي ما

قتلك، أنا مجرد ورق بين غلاف.

- تنقل إيه وتهبب إيه؟؟ إلهي ينقلوك اتنين، واحد أعمي والثاني مكسح، انت لو جبت سيرة الحدوتة دي في المستقبل حتتقفش آداب ونسلي حتطارده اللعنات إلى يوم الدين، دي أصلا مش حدوتة، دي قلبت قناة دِش متشفرة في الآخر!!

- لا بس الحمد لله، خلص في الوقت المناسب الحمد لله.

- لا يا شيخ؟؟؟ كنت مدّها خمس دقائق كمان لحد ما كان فرج أخذ غرضه مني وكنت بقيت سلفة سندريلما بهجد، وساعتها كنت حلبس الفستان رسمي يا كتاب فوق تمتناشر سنة، بس مكنتش حلاقي أمير في أي حدوتة يرضى بيا، في أمير حيرضي بواحد بكرش ولابس فستان؟؟ حسبني الله ونعم الوكيل فيك يا شيخ.

صدرت ضحكة «حليمو» من قلب الكتاب ثم قال:

- خلاص بقى، عدت، الحواديت ياما بيحصل فيها، وأهي خلصت على خير، والا تكون فاكِر إن كل الحواديت حلوة وجميلة، يا ابني ما أنا قتلتك، احنا بس بننقل الجزء اللي يدي للناس أمل ويخليهم يقدروا يكملوا.

- دي حدوتة مهيبة، أنا عاوز التسجيل بتاع الحدوتة دي لو سمحت عشان لازم يتمسح وإلا مش حيحصل كويس، ده لو وقع في ايد المستشار مرتضى بتاع السيديات حيثعمله يوم سنوي للاحتفال بيا.

ضحك «حليمو» مرة أخرى ثم قال:

- لا، اطمئن، ما اتسجلتش، ولا حتتذاع، ده كان موقف مهيّب، موضوع السعادة ده طلع صعب، ومحتاج ترتيبات وشغلانة، واحنا عاوزين نستغل الوقت.

انتبه «حلو» إلى الوقت، نظر إلى ساعته فوجدها قد تعدّت الثانية عشر بنصف الساعة، فقال للعجوز بتساؤل:

- هو الحج عزازي ما نزلش من إمبارح؟؟ ما جاش؟؟

- لا، محدش جه.

- غريبة؟؟! الموضوع ده مش طبيعي، انا كدة بقالي أكثر من أربعة وعشرين ساعة كاملة هنا، والراجل ما جاش، الموضوع ده ما يطمئنش، الراجل أكيد جراه حاجة !!!

- سيبك من الحج عزازي دلوقتي ونبقى نشوف الموضوع ده بعدين، المهم

خليك معايا، ناوي تعمل إيه دلوقتي؟؟ والا كفاية كدة؟؟؟

شبك «حلو» يديه وراء ظهره وهو يسير في حلقة صغيرة، وتبدو على ملامحه علامات التفكير العميق، ثم توقف مُخاطبًا الكتاب المسحور:

- تعرف يا حليمو، أنا اكتر حاجة افتقدتها مع سعادة بعد الجواز، هي الحاجة اللي كانت مغرقة حياتنا قبل الجواز.

- إيه الفوزرة دي؟؟ تقصد ايه بقى؟؟؟

- الرومانسية يا حليمو، الرومانسية ومشاعر الحب، من ساعة ما اتجوزنا والموضوع ده بيقل، ويقل، ويقل، لحد ما اختفى تمامًا من حياتنا، ومحدش فينا سأل عليه تاني، وبصراحة مش عارف العيب من مين فينا.

- يعني أنت محتاج حدوتة رومانسية، قصة مكتملة المشاعر، مش كدة؟؟؟

- بالظبط يا حليمو، أنا محتاج أكون بالنسبة لسعادة مصدر رومانسية، مصدر خام جديد للحب والمشاعر اللي اختفت وأنا أهملتها، محتاج أعرف منها إيه معنى وشكل الرومانسية اللي ممكن ترجعلها الفرحة تاني.

صمّت غُلف المكان للحظات، ثم أعقبه بدء تحرّك صفحات الكتاب بسرعة



وتتابع إلى أن توقفت فجأة مع صدور صوت «حليمو» قائلاً:

- تصدق بالله، انت راجل ابن حلال، أنا بين حواديتي قصة واحد من أكثر الناس اللي اتحكى عنهم في تاريخ الرومانسية في العالم لحد يومنا ده.

- استر ياللي بتستر، ناوي تعمل فيا إيه ثاني؟؟ المرة اللي فاتت لبستني أحمر وبكرش ونزلتني في رمسيس، المرة دي حتعمل فيا إيه؟؟ بكيني وحتطعلي ديل وتنزلني في العتبة، ما انا عارفك، ما بيجيش من وراك إلا البلاوي؟؟

- يا ابني بلاش غلبة، بالعكس، دا انت حتكون مفتول العضلات، وسيم جداً، مركز كبير مرموق، حالة كدة ما اتركرتش في التاريخ غير مرة واحدة بس.

نظر «حلو» إلى الكتاب باهتمام وتوجس في آن واحد، ثم حسم تردده وهو يتساءل:

- طب، مفيش عربيات كارو طيب المرة دي؟؟

- لأ، إطمئن، مفيش.

- كرش مدلدل؟ ارداف حلايفي؟ دقن وطالع لها وش؟

- ولا أي حاجة من الحاجات دي، دي فرصة لقطعة، اسمع متي.

مش عارف ليه مش مرتاحلك، وحيانا فهرسك يا شيخ، خللي بالك عليا في

الموضوع ده المرة دي.

- عيب عليك، ما تقولش كدة.

- تصدق، مش مرتاحلك خالص.

- اخلص بقى خيلينا نستغل الوقت، الساعة داخلة على اتنين صباحاً، ياللا

عشان تلحق اليوم من أوله.

- استررررر يااa

ومرة أخرى، بدأت أركان المكان ترتج بفعل الصوت الجهوري الصادر من

قلب الكتاب الذي بدأت أوراقه في التقليب بعنف وبسرعة ومن قلبها يصدر

صوت «حليمو» قائلاً:

- كل وقت، وله حدوته، بس المهم، تكون مظبوطة.

وعادت الألوان إلى السطوع من جديد، وعاد «حلو» إلى التبخر مرة أخرى،

واختفى في قلب حدوته جديدة.

\*\*\*\*\*

على الرغم من أن عقارب الساعة كانت قد تعدّت الثالثة صباحًا ببضع لحظات، إلا أن «سعادة» كانت تجلس على ذات الكرسي المواجه لباب الشقة وهي تنظر إليه بصمتٍ بعد أن عادت إلى منزلها ورفضت أن تعود مع والديها إلى منزلهما بعد خروجهم من قسم الشرطة.

كانت المائدة ما زالت على هيئتها؛ أصنافٌ متنوعةٌ من المأكولات المُعدّة بعنايةٍ والمنمّقة بطريقتٍ جميلةٍ فوق سطح المائدة.

لم يُعدّ أيُّ صنفٍ من تلك الأصناف قابلاً للتذوق بعد أن أصبح باردًا بفعل برودة الطقس، كانت مأدبةٌ قد تمّ إعدادها وتوزيعها فوق المائدة بهذا الشكل الجميل تتوسطها الشموع منذ الساعة السادسة من مساء أمس، منذ ما يزيد عن ثماني ساعاتٍ كاملةٍ.

ثماني ساعاتٍ انتظرت خلالها «سعادة» دخول «حلو» بين لحظةٍ وأخرى ولكن دون جدوى.

ثماني ساعاتٍ كاملةً، وهي تفكر، أين ذهب؟؟ ليس من عادته التأخر في العودة إلى المنزل بهذا الشكل؟؟ لماذا لا يستجيب هاتفه المحمول إلى أيّ اتصالاتٍ منذ الصباح وحتى هذه اللحظة؟؟؟ هل سُرق منه؟؟ هل ضاع؟؟

إذا كان قد قرر أن يسهر مع أصدقائه بالرغم من أن هذه ليست من عاداته، فبكل تأكيد كان سيعود إلى المنزل في وقتٍ أبكر من هذا الوقت، فهو مرتبطٌ بعمله في صباح اليوم التالي، وهو ليس من ذلك النوع الذي يهمل عمله، إنه يعشق عمله، كانت تعلم هذا، كان يسبب لها هذا بعض الغيرة أحيانًا، ولكنها اعتادت مع مرور الوقت.

ولكن، أين ذهب حلو؟؟ أين تراه يكون في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل؟؟ أين هو وقد تركها بمفردها لتواجه موقفًا عصيبًا اليوم ؟

بدأت المخاوف تتسرب إلى عقلها مع مرور الوقت مثلها مثل أيّ زوجةٍ وامرأةٍ مصريةٍ أصيلةٍ، لم تُعدّ مهتمةً مع مرور الوقت بمكان تواجد «حلو» في مثل هذا الوقت، حيث انصبّ كامل اهتمامها على السؤال الأهم:

هل هو بخير، أم لا؟

أخذ السؤال يتردد في عقلها مرارًا وتكرارًا، حتى اتخذت قرارًا هامًا حاسمًا؛ سوف تتصل بصديقه في العمل مع أول ضوءٍ لصباح اليوم إذا لم يعدّ قبل هذا الوقت، صديقه «عصام»، صديق عمرهما، ليتها تجد لديه إجابةً تطفئ بها نار الخوف التي شبت بداخلها وتكاد تحرق قلبها قلقًا على رفيق حياتها،

\*\*\*\*\*

ألوان، ألوان، ألوان

ذات التجربة التي مرَّ بها «حلو» سابقًا، فقدان تامٍّ للاتجاهات وعدم القدرة على تحديد المكان أو الزمان، دائمًا ما يكون هذا هو شعوره، وفجأة، تبدأ الألوان بالانقشاع، وتبدأ ملامح المكان في الظهور من حوله رويدًا رويدًا.

ما هذا المكان المتسح؟؟

سؤال ألقاه «حلو» على عقله بينما الضباب الملون يختفي تدريجيًا، ومع التطلع والتدقيق، اكتشف «حلو» بسرعة أنَّ هذا المكان معروفٌ لديه، بل أنه من الأماكن التي عمل فيها مُسبقًا، ويحمل لها عشقًا خاصًا.

نعم، إنها هي، مكتبة الإسكندرية، المكتبة التي تحتوي على ملايين من الوثائق الأثرية، عشقه الأول، بالفعل، هذا هو البهو الكبير، ولكن، ماذا أتى به إلى هنا؟؟

لم يشغله عن التحقق في المكان وإمعان النظر إليه إلا شعوره ببرودة

شديدة بدأت تسري في أوصاله، وتأتي تحديدًا من أسفل قدميه حتى تصل إلى أعلى الفخذين.

نظر «حلو» إلى الأسفل ليقع بصره على ما جعله يُطلق شهقة قصيرة، أعقبها بصرخة رفيعة وهو يقول بهلع:

- إيه ده؟؟؟ جيبة؟؟؟ جلد؟؟؟ بُني؟؟؟ على اللحم؟؟؟ في شهر طوبة؟؟؟  
وكمان صندل من غير شراب؟؟؟ وأنا اللي مكانش عاجبني فستان سندريلا؟؟؟  
حسبي الله ونعم الوكيل فيسيبك يا حليبيبيبيبيمو

بدأ «حلو» بالنظر إلى أطرافه وذراعيه اللذين يبدو عليهما القوة والشدّة، وبدأ يشعر أنه أطول قامّة.

جال ببصره في المكان المتسع الخاوي من أيِّ إنسانٍ، فوجد انعكاسًا لصورته في الزجاج، اقترب «حلو» من الزجاج ليتطلع إلى هيئته، ثم تحدث مخاطبًا نفسه:

- هو بغضّ النظر عن الجيبة الجلد، والصديري الجلد، والصندل الجلد، الهيئة مش بطالة بصراحة، طول عمري نفسي أروح الجيم عشان أبقي كدة بس المشكلة أنه دايمًا يفتح متأخر، وبعدين كابتن إبراهيم اللي هناك مركز مع

الشباب على تمرينات القطنية وانا ببقى عاوز ألعب بطن.

ظل «حلو» ينظر إلى قامته المشوكة وعضلاته المفتولة لوهلة، قبل أن يتساءل بصوتٍ مسموعٍ:

- طيب يا ترى دلوقتي، نحب نتشرف برضه، مين الأخ؟؟؟ اللبس واضح إنه حاجة روماني أو إغريقي أو يوناني، بس دول كثير فحت، أنا ضيعت بتاع أربع سنين بدرس فيهم؟؟؟ انت مين فيهم بقى؟؟؟

نظر إلى انعكاس صورته ثم أردف:

- أوديسيوس؟ لا لا، كان بدقن، اكيليس؟ اممم لا برضه كان مطول شعره، هوميروس؟ يا عم هوميروس مين دا كان اعمش، اجا ممنون؟؟ لا لا كان تخين، مين يا حلو؟ تطلع مين يا حلو؟؟

وأثناء تساؤلاته، لمح في انعكاس الزجاج شيئاً ما مربوط إلى خصره، لاحظته لأول مرة، نظر «حلو» إلى ذلك الشيء فوجده سيفاً، نزعه من غمده ونظر إليه عن قرب ليجد على قاعدته نقوش كتبت بلغة رومانية قديمة كان يعرفها بحكم عمله، وقرأها على الفور وهو يقول بشروء:

- أنطونيوس!! مممممم، لا كويسة دي منك يا حليمو، أنطونيو وكليوباترا،

يا سلااام، لا وشوف سخرية القدر، انا في نفس المكان اللي أنطونيو بنفسه كان السبب في حرقه، اهو ساب روما تضرب تقلب وقعد يحب في كليوباترا لحد ما اوكتافيوس حط عليه وعلى كليوباترا وعلى الامبراطورية كلها وبقى أول امبراطور روماني منفرد، يااااه، الله يرحمك يا شيكسبير، غاوي نكد يا شيكس من يومك والله.

ظل «حلو» يدور هنا وهناك طوال ما يزيد عن ساعتين من الزمن حتى تعدت عقارب الساعة الخامسة والنصف صباحاً ببضع دقائق، في الوقت الذي بدأت أنوار الصباح تدخل إلى حرم «المكتبة العظمى» كما كان يطلق عليها قبل الميلاد، وذلك من خلال السقف الزجاجي العملاق، وعلى الرغم من ضوء الشمس البسيط إلا أنَّ ركبتى «حلو» بدأتا بالارتعاد وهو يقول:

- جيبة في طوبة يا مفتري، مفيش فايده، حستهوى حستهوى، طب كنت لبسني كلسون!!

وقف «حلو» عاقداً ساعديه أمام صدره في محاولة لتخفيف آثار البرودة، وأخذ يتحرك في أرجاء المكتبة بنشاطٍ مُحاولاً إدخال بعض الدفء إلى جسده الذي يكاد يتجمد، وهو ينتظر وصول عمال النظافة الذين يصلون في

السابعة صباحًا لبيدؤوا في تجهيز قاعات المكتبة لاستقبال جولات الضيوف والزائرين التي تبدأ يوميًا في العاشرة صباحًا، معلومات كان يعلمها ببساطة، بحكم تردده على المكتبة مئات المرات أثناء شبابه وأثناء دراسته وأكثرها من خلال عمله.

وبالفعل، بدأت أبواب المكتبة الداخلية تفتح وبدأ عاملو النظافة في الانتشار بينما كان «حلو» متواريًا إلى أن وجد اللحظة المناسبة، فانطلق خارجًا من أحد أبواب المكتبة الكبيرة، ومنها إلى الشارع، ليجد نفسه على شاطئ الإسكندرية المزدحم في هذا التوقيت وكل أهلها تقريبًا، ينظرون إليه، ويكادون يفقدون حياتهم...

ضحكًا!

\*\*\*\*\*

أشارت عقارب الساعة إلى السابعة والربع صباحًا حين ارتفع رنين هاتف «عصام عبدالراضي» وهو ما يزال يتناول فطوره في منزله، أمسك بالهاتف باندھاش وهو يتساءل عن ماهية المتصل في مثل هذا الوقت المبكر. انعقد حاجباه بشدة وهو يشاهد على شاشة هاتفه اسم «سعادة»، وأجاب

بسرعة واللهفة تطلُّ في كل كلمةٍ من كلماته، فهو لم يتلقَّ قبل منها اتصالاً في مثل هذا الوقت المبكر أبدًا:

الوو، صباح الخير يا سعادة خير؟؟ في حاجة؟؟؟

صباح الخير يا عصام، ازيك؟؟ عامل إيه؟؟

- أنا تمام الحمد لله، في حاجة يا سعادة؟؟ حلو كويس؟؟ الحج والحجة كويسين؟؟

توترت خلجات «سعادة» وهي تستمع إلى «عصام» الذي على ما يبدو من سؤاله أنه لا يعلم شيئًا عن «حلو»، ولكنها قالت بسرعة:

- أنا متصلة بيك مخصص عشان اسألك على حلو يا عصام، حلو ما رجيش البيت من امبارح بالليل، أنا خايفة قوي يا عصام، ما تعرفش هو فين؟؟

تنهد «عصام» بارتياح، وهو يجيب:

- يا شيخة خضتيني، بصي، حلو قالي أنه واخد مأمورية أسبوع تقريبًا، الرئيس عندنا في الشغل كلفه بيها، بس هو ما قالش فين بالضبط، أنما هو فهمني أنه مش حاجي الشغل، يمكن تكون المأمورية مش في القاهرة وسافر مثلاً

يا سعادة.

- طول عمره يسافر صد رد يا عصام عمره ما بات برة البيت أبدًا.

- طب هو ما قاللكيش قبل ما ينزل الصبح هو رايح فين بالطبط؟؟؟

- أصل، أصل انا ما كنتش في البيت، كنت بزور ماما يومين ورجعت ما لقيتش، ومن ساعتها ما رجعتش وبعدين هو مش واخد معاه هدموم ولا حاجة يا عصام.

- بصي، اطمني، ممكن يكون مأمورية يوم ونص مثلاً وهو عارف انك عند ماما، فقال بدل ما يرجع البيت بسرعة، ياخذ وقته ويرجع ثاني يوم مثلاً يكون خلص، عمومًا، لما يرجع انهارة طمنييني عليه، وأنا حكممه على موبايله كمان ساعة كدة لما أوصل الشغل.

- ربنا يخليك يا عصام لو كلمته خليه يكلمني ضروري عشان موبايله مش لاقط خالص.

- حاضر يا ستي، ياللا صباح الفل عليك.

أنهت «سعادة» المكالمة وقد بدأت بعض الراحة تتسرب إلى نفسها، ولكن

في ذات الوقت، كان هناك شعورٌ خفيٌّ ملازمٌ لها، يصرخ بداخلها طوال

الوقت، يخبرها أن الأمور ليست على ما يرام أبدًا.

\*\*\*\*\*

تسارعت خطوات «حلو» وهو يسير إلى جانب الأسوار التي تواجه بحر الإسكندرية، بينما ينظر إليه الكل بسخرية شديدة، من ذلك المجنون الذي يسير في مثل هذا الطقس الذي يقترب من التجمد وهو يرتدي مثل تلك الثياب العارية المضحكة؟

كان «حلو» بالفعل يكاد يتجمد بردًا وهو يخاطب نفسه قائلاً:

- مش حاسس ببركيي خلاص، من بعد الركب وانت طالع باظ مني، انا عارف كلها دقائق وحجيلي برد في المعدة يعقبه اسهال مزمن، حاموت ومش مسامحك يا حليمو، طب كنت ابعتني بشراب تحت الصندل!

استمر «حلو» في السير وقد تعدت الساعة العاشرة صباحًا، كان يتجه إلى لا مكان، لا يعلم كيف سيصل إلى «سعادة»، كيف سيغادر الإسكندرية مُتجهًا إلى القاهرة وهو لا يحمل قرشًا واحدًا؟؟

ظل يفكر لساعةٍ ويزيد، حتى اتخذ قرارًا، استجمع من خلاله كل شجاعته،

توقّف وسط الطريق، وبدأ في مخاطبة المارة:

- والنبي لو سمحت، محتاج أرجع القاهرة والمحفظة ضاعت.

- روحوا اشتغلوا بقى جتكم الهم والغم مليتوا البلد!

مرّ رجل آخر:

- بعد إذنك محتاج مساعدة، ممكن فلوس بس اركب أروح؟؟ أنا مش من هنا أصلي.

- مساعدة إيه يا بغل اللي عاوزها؟ دا احنا اللي عاوزين مساعدة، انت مش شايف انت عامل ازاي؟؟ دا انت بغل صحيح!

مرّت سيّدة مُسنّة متّجهة إلى عملها:

- بعد اذنك يا حاجة، أيّ حاجة لوجه الله طيب، إلهي تحجّي يا رب، أي فلوس أركب وأروح حموت من البرد، فخادي نملت يا نانااس.

- فخادك؟؟ فخادك إيه يا راجل يا قليل الأدب، أنا حفرج عليك خلقه، انا حا ألم عليك عبيدووو .

- لانااا لانااا لانااا، أنا آسف، أنا ماشي خلاص، ده أنا كنت لابس بدلة فرو

«بهدلوني، أومال لما يشوفوني بجيبة؟؟؟ آسف يا حاجة، آسف، سلام.

وانطلق «حلو» مُسرّعاً الخطى مُبتعداً دون أن يلتفت وراءه للحظة واحدة وكان شياطين الأرض تطارده.

فشلت خطته، ولابدّ من تصرف آخر، لابدّ من طريقة يعود بها إلى القاهرة.

وفجأة، قفزت إلى رأسه فكرة أخرى، لم يلبث أن وضعها في موضع التنفيذ الفوري؛ اتجه «حلو» إلى أحد الأسواق المزدهمة القريبة من مكان مروره، ودلف إليها وسط نظرات المارة التي امتلأت بالسخرية تارةً والاشمئزاز والامتعاض تارةً أخرى.

وقف «حلو» بالقرب من أحد الباعة، وخلع سيفه من حول خصره، ثم بدأ في الهتاف:

- سيف للبيع، للبيبيع، سبييف، يا جماعة اللي عاوز سيف، صلي على النبي، سيف للبيع، ايووووة، إيوة السبييف، يا ابو السيوف، قررب قررب قررب، السيف السحري، سيف انطونيو، السيف الأصلي، مش صيني ولا مصري.

بدأ المارة يقفون ويتجمعون حول «حلو» الذي بدأت الأسئلة تنهال عليه:



- بكام ده يا عم؟

- اللي تجيبه يا بيه، ده سيف انطونيو الأصلي وربنا يسامحني على الكلام السودة دي اللي حأعملها في حق التاريخ.

- أيوة يعني آخره كام؟؟

- يا ريس اللي تجيبه، كُلك نظر، دي الحت بتطلع من تحت البيوت في نزلة السمان وبتتباع بفلوس كتير مووت، والأجانب بيشتروها هوا، ما انت فاهم بقى.

- يعني يمشي معاك خمسة؟؟؟

- يمشي طبعًا، بس معلش انا عاوزهم كاش، ما بخدش شيكات.

- يا سلام؟؟ عيني، ادي اهي حتة بخمسة.

- ايه ده؟؟؟؟!!!!

- خمسة جني زي ما اتفقنا!!!!

- خمسة جنيه ايه يا راجل يا مجنون انت؟ بقولك سيف انطونيو الأصلي تقولي خمسة جنيه، انا عاوز خمس آلاف جنيه.

انفجرت الضحكات من حول «حلو» في كل مكان استنكارًا، حتى إن بعض المتجمهرين جلسوا أرضًا لا يقوون على الوقوف من شدة الضحك، بينما أكمل الرجل الذي يريد شراء السيف قائلاً:

- حيمشي معاك خمسة جني والا نمشو؟؟؟

انفجر «حلو» صائحًا في هيسيريا وهو يلوح بيديه في الهواء قائلاً:

- سيف «مارك أنطونيو» بخمسة جنييه ياااا كفررة!!

تدخل رجل آخر في الحوار وهو يسأل «حلو»:

- يمشي معاك بعشرة طيب يا برنس؟؟؟

نظر له الرجل الأول وهو يقول:

- خلاص أنا خلصت فيه بخمسة.

لطم «حلو» خديه وهو يقول للرجل صارخًا:

- لا يا خويا، ما خلصتش، ما خلصتش يا ظالم يا مفتري، مش بايع بخمسة أنا.

تدخل رجل ثالث قائلاً:

- تأخذ عشرين جني وتخلص دلوقتي؟

بدأت الأصوات ترتفع بين المتجمهرين، وبدأت العروض تزداد من هنا ومن هناك حتى وصل سعر السيف إلى مائة وخمسين جنيهًا، قام بدفعها جزارٌ من السوق وأخذ السيف ليستخدمه في متجر اللحوم.

وقف «حلو» ينظر إلى النقود في يده، ثم نظر إلى الجزار المبتعد بالسيف الأثري، وقال مُخاطبًا نفسه:

- لسوف يذكر التاريخ، أن «مارك أنطونيوس» وقف في سوق سمك يبيع أعز ما يملك، سيفه، شرفه، عرضه، بمئة وخمسين جنيه، وليه كل ده؟؟؟ عشان يركب مكروباص من إسكندرية للقاهرة وينزل موقف مشعل، التاريخ سوف، سوف، يالله، حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا حليمو.

بدأ «حلو» بالتحرك من مكان السوق، بعد أن ابتاع عددًا من أرغفة الكبدة من إحدى العربات المنتشرة في السوق، وأخذ يدسها في فمه دسًا من شدة الجوع، تحرك مُنطلقًا إلى الشارع الرئيسي، أشار إلى العديد والعديد من سيارات الأجرة التي رفض أغلبها مجرد التوقف مع مظهر هذا الفحل الذي يرتدي تلك الملابس الغريبة في هذا التوقيت من عمر الشتاء القارس.

ولكن في النهاية، توقفت إحداها ليدخل «حلو» إليها مُسرعًا ناشدًا بعض الدفء، ليبادره سائقها الذي تبدو على ملامحه أنه قد تعدى الستين من العمر بسؤالٍ معتاد:

- على فين العزم إن شاء الله؟؟

- موقف مصر إن شاء الله.

- وإيه اللي انت لابسه ده يا ابني؟

- لا دي حكاية طويلة يا حج، يعني، شغل مسرح بقى وتمثيل وبتاع.

- إيه ده؟؟ هو حضرتك ممثل؟؟؟

- إيه؟؟ آه، أيوة أيوة، ممثل إن شاء الله.

- بس، عرفتك، انت الأستاذ تامر هجرس، صح؟؟

- يا حج تامر هجرس إيه بس؟؟؟

- انت تامر هجرس ومش عاوز تقول عشان المعجبين والزحمة وكدة، صح؟؟

- شوف يا أخي الذكاء، هما كدة سواقين التاكسي ما حدش يعرف يضحك

عليهم أبدًا، عفارم عليك، عفارم عليك يا حج كشتفتني.

- يا انا الله، والله الواحد ما عارف يقول إيه يا أستاذ تامر، إحنا انهاردة عيد  
والله، ويا ترى الأستاذة يسرا عاملة إيه؟؟

- يسرا مين يا حج؟؟؟؟

- الفنانة يسرا، مش كنت بتمثل معاها في تمثيلية شربات موز والا لوز باين؟  
- إيه؟ آه، تقريباً، مش عارف، أنت أدري بقى يا حج، أنا أصلي مش متابِع  
التلفزيون بصراحة.

ضحك الرجل العجوز ضحكةً عاليةً لا تتناسب مع سنه وتدل على أنه ذو  
صحةٍ ممتازةٍ، ثم أردف:

- والله دمك زي السكر يا أستاذ تامر، احكي لي بقى، الست هند صبري حلوة  
كدة فعلاً في الحقيقة والا بيبقى ده شغل ميكاش؟؟؟

- ميكاش؟! ممممم، هو يوم مش فايت.

واستمرت المحادثة بين سائق الأجرة العجوز وبين «حلو» الذي شعر أنه في  
غضون لحظاتٍ قصيرةٍ سينقُضُ على الرجل ليمتصَّ دمه، ولكنه ظل يتهرَّب من  
أسلته بشكلٍ غير مباشرٍ مستخدماً إجاباتٍ دائماً تدفع الرجل إلى القهقهة

، موتٍ مرتفعٍ، حتى وصل إلى وجهته، شكر «حلو» العجوز وألقفه أجرته مع  
وعد أنه سيرسل له تلك الصورة الموقعة منه شخصياً، وأنه سيوصل سلامه  
إلى الفنانة حلا شيخا بكل تأكيد عندما يراها في بروفات الفيلم الذي يقوم  
ببطولته حالياً.

استقل «حلو» إحدى عربات الميكروباص المتجهة إلى القاهرة التي تحركت  
فور أن اكتمل عدد ركابها الذين كانوا ينظرون بين الحين والآخر إلى ذلك  
الراكب الذي يجاهد بكل قوته طوال الوقت في شد أطراف التنورة البنية  
الجلدية القصيرة التي يرتديها إلى أبعد نقطةٍ ممكنةٍ يمكنه أن يُغطي بها  
ركبتيه المتجمدتين طوال الطريق.

وطوال الطريق الذي استغرق ثلاث ساعاتٍ، كان «حلو» يفكر في شيءٍ واحدٍ  
فقط؛ كيف سيكون لقاءه بـ «سعادة» هذه المرة؟ كيف سيحمل لها قدراً  
من الرومانسية تجعلها تتذكر أيامهما الماضية ومشاعرهما الدافئة؟ كيف  
سيجبرها على البوح بمشاعرها ورغباتها؟

ظل «حلو» يحاول وضع خطة أثناء الطريق، إلى أن وصلت السيارة إلى  
ميدان الرماية في الهرم، وهنا خطرت فكرة على عقل «حلو»، لماذا لا يستغل

الوقت، ويترجل هنا، ويستقل سيارة أجرة أخرى إلى المعادي مباشرة١١  
توفيراً لوقت دخول المكروباص إلى الموقف وعدم ضياع مثل هذه الدقائق  
ال ثمينة، خاصة وأن الساعة قد تعدت الرابعة مساءً.

وعلى الفور، وضع فكرته موضع التنفيذ وهو يصيح في السائق:

- الرماية معاك يا هندزة.

وفور أن نزل من السيارة، كانت المفاجأة في انتظاره كالعادة، مفاجأة كارثية.

\*\*\*\*\*

ارتفع صوت طرقاتٍ على باب مكتب الأستاذ «أحمد عبدالنبي» وكيل الوزارة،

مما جعله يقول بهدوءٍ مجيئاً بلهجةٍ أمرية:

- ادخل.

انفرج الباب عن «عصام عبدالراضي» وهو يدلف إلى حجرة وكيل الوزارة

وعلى وجهه علامات ابتسامةٍ خفيفةٍ، وأغلق خلفه الباب بإحكام:

نظر له الأستاذ «أحمد» ببشاشةٍ وقال:

- ازيك يا عصام؟ ها؟؟ ايه أخبار الشغل؟؟ كله تمام؟؟

- كله تمام بفضل توجيهات سعادتك يا أستاذنا.

- طيب الحمد لله، خير يا عصام؟

- لا يا فندم خير إن شاء الله، بس أصل في موضوع كدة عاوز أسأل حضرتك عليه لأن الحكاية بقت شوية مُقلقة.

- خير يا عصام في ايه؟؟؟!

- «حلو» يا أستاذنا، ما رجعت البيت من إمبراح وتليفونه مش لاقط خالص ومراته مش عارفة عنه حاجة، فأنا قلت أجي أسأل حضرتك يمكن يكون عندك إجابة للموضوع ده، وخصوصًا أنه طالع مأمورية بأوامر سعادتك.

- ما رجعت البيت من إمبراح؟؟؟ غريبة، لا طبعا الموضوع كدة مُقلق جدًا، أنا فعلاً بعته مأمورية أسبوع أنما ليها مواعيد محددة، لازم يروح البيت كل يوم طبعا، أكيد في حاجة غلط.

- يا ستار يا رب، طيب يا فندم، يعني، هو في إمكانية نعرف مكان مأمورية «حلو» فين عشان نسأل عليه أحسن يكون جواله حاجة هناك يا فندم وأحنا مش عارفين؟

- ممم، آه طبعا مفيش مشكلة، بص، روح دلوقتي على متحف دار الكتب، اسأل عن الأستاذ محمد العازي، والمفروض شغله مع «حلو»، اسأله وطمني ضروري، ضروري يا عصام.

- حاضر يا فندم، إن شاء الله خير يا أستاذنا، أنا حنزل من هنا حالا وأطلع على هناك على طول لأن مراته قلقانة عليه جدًا.

- والله يا عصام أنا كمان قلقت، ربنا يستر يا ابني.

استاذن «عصام» من السيد «أحمد» وخرج من غرفته مسرعًا ودقات قلبه ترتفع شيئًا فشيئًا، وعقله لا يكف عن التفكير، وهو يغادر مبنى دار الكتب ويستقل سيارته متجهًا إلى المتحف.

تُرى أين «حلو» الآن؟ أين هو؟ هل هو بخير؟؟؟

ظَلَّتْ الأسئلة تتردد في عقله بلا توقُّفٍ، وقلبه يزداد انقباضًا، دقيقة وراء دقيقة.

\*\*\*\*\*

عشرات وعشرات من العاملين في السياحة من أبناء النزلة بجوار الهرم هجموا على «حلو» بمنتهى القوة وهم ينظرون إليه كصيدٍ ثمينٍ، ها هو سائحٌ أبله يرتدي زيًّا أبله ويأتي إلى سفح الهرم لكي يلتقط بعض الصور التذكارية فوق الحصان تارةً وفوق «الكارتة» تارةً أخرى ويتخذ أوضاعًا جنونيةً إلى جانب جَمَلٍ جالس يكاد يفتك به من شدة الملل.

بكل تأكيد سوف يتصور عشرات الصور وهو يقبل «أبا الهول»، وعشرات الصور الأخرى يحمل فيه الهرمين من قمتها في يده على طريقة مثلثات الجبن «النستو».

إنهم جميعاً يعلمون كم هو أبله هذا السائح، ولكن «أكل العيش مر»، ولأن من التملق والتودد إليه حتى يمكنهم الحصول على أكبر قدر ممكن من النقود التي يحملها، هم بكل تأكيد تقتلهم الحيرة أين يحمل نقوده ولكن لا يهم، في لحظة ما سوف يجردونه منها، حتى وإن جردوه من ملابسه في سبيل بحثهم عن أرزاقهم.

كان الهجوم شنيعاً، بلا رحمة، أحاط به بضغ عشراتٍ منهم وكل واحدٍ منهم يحاول جذبُه باتجاهٍ وهو لا يكاد يعلم ما يحيط به من شدة الدهشة وشدة الجذب وتداخل الأصوات التي تتصارع عليه وكأنهم ذكور جاموسٍ وحشية تتصارع في موسم التزاوج على أنثى كما يحدث في الغابات الاستوائية المتوحشة.

تعالَت الأصوات، حيث قال أحدهم:

- اتفضل يا مستر، اتفضل، «ويل كم»، «ويل كم»، احنا عندنا أجدهم أحصنة

في النزلة، اللفة بميتين جنبه، اتفضل، حنكرمك والله.

وقال آخر وهو يجذبه من معصمه:

- حضرتك باين عليك بتفهم عربي، عندي حتت كويسة لقيناها واحنا بنحفر تحت البيت جنب الهرم، تعالي اتفرج بس وحتنقق، أنا اللي ببعثلك الرسايل.

قال ثالث:

- علاطلاق، علاطلاق من بيتي ما حد حيركك على الجمل غيري، علاطلاق ما حتركب غير جملي.

صرخ رابع:

- يا بيه، تعال حنطلع بيك الصحرة وحنشربك شاي على الفحم وحنفرك على حاجات هيلوة، هيلوة كثير.

هتف خامس:

- يا جدعان، الراجل ده جي مخصص عشان يشتري برديات من البازار عندنا.

أنا متفق معاه على كدة، ومديه معاد هنا.

وامتدَّت يده تجذبه من معصمه الآخر، وهنا، انهار «حلو» صارخاً:

- باللاالاس، باللاالاس يا غجر، أنا حبلج عنكم شرطة السياحة، أنا جي عشان،  
عشان، عشان عندي عرض تمثيل في المينا هاوس هنا، أنا مصري زيكم ربنا  
ياخدكم، خدلتولي دراعي ان شالله تنقرصوا.

انفضّ الجمع من حوله بسرعةٍ مدهشةٍ والكُلّ يندب حظّه بعد سماعهم  
للهجته المصرية الأصلية التي تدل على أنه شريكٌ في ذات الهمّ والغمّ الذي  
يعيشون فيه ، وأنه بكل تأكيد لا يحمل لهم أيّ خيرٍ ولا أيّ نقودٍ قد تنفعهم.  
استغل «حلو» رحيل رجال النزلة، واستوقف سيارة أجرة قفز داخلها بسرعةٍ،  
وهو يطلب من السائق الاتجاه إلى المعادي، مما جعل السائق يوجه له  
سؤالاً:

- معادي دائري؟؟ والا نمشي شارع الهمّ كورنيش؟؟  
حكّ «حلو» ذقنه بسبابته وهو يفكر قائلاً:

- لو اخدناها دائري ممكن الحدوتة تقفل عليا، ولو اخدناها شارع الهمّ  
مممكن «يوليوس قيصر» شخصياً يوصل روما قبل ما أنا أوصل المعادي، بص،  
اتكل على الله واطلع دائري وربنا يفرجها بقى، وهاتلي راديو مصر والنبي.  
أوما السائق برأسه تلبيةً، وانطلق إلى وجهته التي احتاجت إلى أكثر من

ساعتين من الزمن للوصول إليها.

قاربت الساعة على السابعة مساءً، حين طلب «حلو» من السائق التوقف  
أمام المنزل المكون من أربعة طوابق الذي يسكنه أهل «سعادة» والقريب  
من منزله بعد أن دفع له أجرته، نظر إلى نافذة شقه «سعادة» أثناء توجهه  
إلى مدخل البناية حيث أشارت الإضاءة الخفيفة الصادرة من خلف ستائرهما  
إلى إنهم متواجدين ومجتعين في ردهة المنزل كالمعتاد.

قفز «حلو» درجات السلم برشاقةٍ وحيويةٍ وقُرأ له جسده الجديد الممشوق،  
حتى وصل إلى الطابق الثاني حيث منزل «سعادة».

وقف «حلو» للحظاتٍ لكي يستجمع رباطة جأشه، وفكر، كيف سيُمرّ  
الموقف؟؟؟ إنه الآن بصدد قرع الباب ومواجهة احتمالاتٍ عدّة، تتنوع بين  
أن يفتح والد «سعادة» الباب، وأن تفتح «سعادة» بنفسها الباب وما أجمله  
من احتمالٍ! وخاتمة الاحتمالات وأسوأها على الإطلاق أن تفتح «أم سعادة»  
الباب، بكل تأكيد لن تتعرف عليه في شكله الجديد، ولكنها في كل الأحوال  
مادةٌ خامٌ للعكنة وموردٌ أصليٌّ للهمّ والحزن والكآبة، ولسوف تجعله بكلّ  
تأكيدٍ يفكر كثيراً في محاولة سقيها غنوةً جُرعةً مركزةً من سُمّ الأفاعي الذي





انت بتراقبنا والا ايه؟؟؟

فطن «حلو» إلى خطئه الساذج مرةً أخرى وبدأت علامات التوتر تظهر على وجهه وهو يحاول إصلاح الموقف قائلاً:

- ايه؟؟ لا، حضرتك، أقصد يعني، أقصد أهل البيت عمومًا يتعرفوا على المنتج  
عشان منتج هام.

- فين شئطة المنتجات دي؟؟

- شنطة؟؟ لا ما هو الأول إحنا حايين نعرف رأي أهل البيت من حيث المبدأ  
وبعدين حاروح أجيب الشنطة وأجي، ممكن أشوف بنتك بقى؟؟

وقفت «أم سعادة» للحظات تنظر إليه ببلاهة، ثم قامت بأخر فعلٍ تَوَقَّعَ «حلو» في هذه اللحظة أَنْ تَقْدِمَ عليه، فانقضَّت على رقبته مُمسِكَةً بها رغم قصرها مقارنةً بطوله الفارع، وهي تصرخ بكل ما أوتيت من قوة:

- حراااااامممااااى.

وفي خلال ثوانٍ معدودة، كان سكان العقار بالكامل يلتفون حوله ممسكين به بإحكام، واتخذ الأمر منحني جديدًا، ومخيفًا.

\*\*\*\*\*

ظهر الإجهاد على وجه «سعادة» وهي تحاول التقاط أنفاسها أثناء حديثها في الهاتف المحمول خلال اتجاهها إلى منزل والديها وعقارب الساعة قد تعدت الساعة مساءً بيض دقائق وهي تقول:

- أيوة يا عصام يعني دلوقتي أنت حتعمل إيه بعد ما قالولك هناك إن الاستاذ عزازى بقاله يومين ما جاش؟؟

جاءت الإجابة عبر الهاتف:

- بصي يا سعادة الموضوع ما يطمئنش، وأنا قلقان زيك بالطبط، أنا أخذت عنوان الأستاذ عزازي من بتوع الأمن، وعرفت منهم إن مراته تعبانة وأكيد ما جاش بسبب الموضوع ده، وحاروح أشوفه لأنه يمكن يكون يعرف حاجة عن حلوه، بس قولي يا رب.

- يا رب يا عصام، يا رب، أنا حموت من القلق، مش قادرة أتلّم على أعصابي، أنا حتى رايحة اشوف بابا واقوله بشوفلى صرفة، أنا خايفة قوي يا عصام.

وبدأت «سعادة» تنخرط في بكاء حاد وهي ما زالت على الجهة الأخرى من المحادثة مع «عصام» الذي حاول أن يهدأ من روعها قائلاً:

- يا بنتي مالوش لازمة العياط ده، خير إن شاء الله، وبعدين تلاقيه عارف إنك

مش في البيت زي ما لسة حكيالي على مشكلتكم من يومين، وممكن يكون  
خلص المأمورية وسافر يومين مثلاً تغيير، عارف إنه مش طبعه ، بس برضه  
ممکن يكون اتهفّ في عقله وعملها ، وقافل موبيله عشان كدة، الرجالة  
ياما بتعمل يا سعادة، عادي يعني، خير إن شاء الله، بس أنني خليكي معايا  
على التليفون، أول ما أوصل وأعرف حاجة من الأستاذ عزازي حلكمك أبليغك  
على طول.

حرااامي بيراقبنا من شهر وعارف اننا قاعدين لوحذا وجي يدبحنا يا  
ختااااي، إحقووونا يا نااس ، إحقوونا يا رجاالة.



أفاق الناس على صرختها، وبدأوا في سحب «حلو» بجسده القوي خروجا  
من البيت في الوقت الذي لم يكن «حلو» مُهتماً على الإطلاق إلا بالنظر إلى  
«سعادة» معطياً إياها أفضل ابتساماته الوسيمة ونظراته العاطفية وهو يقول  
لها بصوت مرتفع أثناء ابتعاده عن باب البيت:

- العمر لا يُمكن أن يُذبل جمالك أبداً.

وابتعدت الحشود وهي تقود «حلو» نحو قسم الشرطة، بينما وقفت  
«سعادة»، وعلامات الدهول والحيرة ترتسم بأقصى صورها على وجهها،  
وقلبها؛ قلبها الذي خفق كما لم يخفق بهذه الطريقة إلا مع شخص واحد  
فقط، شخص واحد يستطيع أن يجعلها تشعر بمثل هذا الشعور، ولكن كيف  
وهو الآن أبعد ما يكون عن هذا المكان؟

لم تعلم أنَّ هذا الشخص، كان منذ لحظات قريباً منها، أقرب من أي وقت  
مضى.

\*\*\*\*\*

- هو جرى إليه في أم البلد دي؟؟؟

قالها الضابط «عمار» الجالس من وراء مكتبه وهو يكاد يحطم المكتب  
بقبضته وأمامه وقف عددٌ كبيرٌ من سُكَّانِ العمارة يتوسطهم «حلو» في زي  
وهينة «انطونيو»، وأكمل قائلاً:

- إمبارح واحد لابس أحمر في قلب القسم وبعدين يهرب، واتحوّل أنا  
للتحقيق، وإنهارة واحد جايلي بجيبة جلد في عز الشتاء والناس يقولوا عليه  
قتال قُتلة؟؟، انتوا إيه؟؟؟ جرى إيه فيكي يا بلبللللل؟؟؟ المعادي باللاتت  
خلاااص؟؟!

كادت عروق الضابط «عمار» تنفجر من فرط الانفعال، بينما وقف «حلو»  
بقامةٍ ممشوقةٍ وهو ينظر إليه بتوجُّسٍ ولا يكاد يقوى على رفع عينيه فيه،  
إلى أن سألَه الضابط مرةً أخرى:

- إنت مين يالا؟؟؟ وحكايتك إيه؟؟؟ ولايس كدة ليه؟؟؟ انطق عشان أنا على  
آخري، بقالي أكثر من ثلاث ساعات عمال أسمع في الولية دي وباقي الناس  
اللي معاها ومش فاهم حاجة خاللااااالص؟؟؟ انطق عشان ماخيش ليلتك  
سودة.

تنحنح «حلو» ونظر بجانب عينيه إلى عقارب الساعة في يد أحد الواقفين

ليجدها قد تعدت الحادية عشر مساءً ببضع دقائق، مما جعله يفكر بسرعة.

ويبدأ في محاولة كسب أكثر وقت ممكن قائلاً:

- طيب، هو حضرتك ما بتشبهش عليا؟؟؟

نظر الضابط إليه وهو يُقَلِّبُ في وجهه ثم قال بعنف:

- انا ما شفتش السحنة دي قبل كدة، ولا اللبس ده، ومش عاوز غير أنك تنطق

بعد كل الهري اللي قالوه ده وتخلصني، انت مين؟؟؟ انطق.

تدخلت «أم سعادة» بحدة وهي تصرخ:

- أيوة، أيوة، ده شبه الرجل اللي بيطلع في فيلم «هالووين» اللي بيقتل

الناس بالسكينة في العيد الكبير يا سعادة الباشا، ده سفاح أصلي وباين عليه

أهو، ضخم الجثة وعريض المنكفين.

صرخ الضابط «عمار» بجنون:

- بسسسس يا ولية إنتي، من ساعة ما شفتك إمبارح وانتي ما بطلتيش كلام

وأنا مش فاهم حاجة، مندوب مبيعات أيه؟ وسيريال كيلر إيه؟ وسيف أيه؟

وبیرا قبکم ازای؟ وفین؟ و امتی؟؟ بس، باااااااااس، انتی ایہ کل یوم حتجر جریلی

واحد من الشارع وتيجي على هنا؟؟ إيه؟؟ ما بتسكتيش؟ ما بتزهقيش؟؟

قال «حلو» بسرعة:

- طول عمرها كدة والله سعادتك، أما جوزها قرب يفقد النطق، وبقي بيشاور

بس دلوقتي.

صرخت «أم سعادة»:

- اهو، اهو اعتراف، اهو عرف ان جوڙي مش طايقني، طب عرف منين بقى

بالذمة؟؟؟ بـراقبنا بقولك سعادتك.

صرخ الضابط مرةً أخرى:

- بالاس، اخرسوووا، قسما بشرفي، قسما بشرفي، إلی حینطق من غیر

ما أوجه له سؤال لحدخله الحبس للصبح، أما بيانله صحاب، ده مفيش كلب

فيكم معاه بطاقة يا غجر، حتى الولية المكعبة دي.

صمت ساد في الغرفة لأول مرة منذ ثلاث ساعات، مما جعل الضابط «عمار»

يأخذ نفسًا عميقًا ويطلقه في صورة زفرة حارة غاضبة قائلاً له «حلو»:

- إشجینی، فهمنی یا، یا، یا تری اسم فحامتک ایہ؟

- أنا؟؟ ممم، أنا، أنا إسمي انطونيوس

- ثلاثي يا روح أمك.

- روح أمي اسمي، مارك أنطونيوس، أو ماركس أنطونيو، ويمكن تمشيها  
مرقص انطونيوس.

- لا يا راجل؟؟؟ وهو ده بقى اسم ثلاثي؟؟؟؟!!

- لا بس أنا مش حافظ غير الاسمين دول بصراحة، جده مش مشهور قوي.

- جد مين؟؟

- انطونيو.

- انطونيو مين؟؟؟

- انطونيو صاحب اوكتافوس اللي كانوا في جيش يوليوس قيصر قبل ما يغزوه  
بروطس بالسكينة في شهره.

بدأ وجه الضابط بالاحمرار، وبدأت عيناه وكأنهما شعلّة منتقاة من أحجار  
الحجيم، وبدأ على ملامحه غضبٌ مُتصاعدٌ جعل الجميع بما فيهم «حلو»  
يتراجعون لخطواتٍ قليلةٍ خشية انفجاره فعليًا وحرقيًا.

ولكنّ طرقًا على باب المكتب قطعت لحظات الغضب، حين أعقبها دخول

أحد المخبرين إلى داخل المكتب مؤديًا التحية العسكرية للضابط وهو يقول:

- برة في واحدة اسمها الأستاذة سعادة و معاها أبوها يا باشا.

صرخت «أم سعادة» بفرح:

- بنتي حبيبتني، جاية تلحق أمها من السفاح المجرم السريال كيلر، دخلوها  
بسرعة.

صرخ الضابط «عمار» بحدة:

- بس يا وليه انتي، قلت مش عاوز نفس.

ثم نظر إلى المخبر قائلاً:

- دخلهم خلينا نخلص من الليلة المبهوكة دي.

وبالفعل دخلت «سعادة» ووالدها إلى حجرة الضابط الذي استقبلها قائلاً:

- مساء الخير يا أستاذة سعادة، يا ريت نخلص من الموضوع ده بسرعة لأن

امبارح مكانش يوم لطيف وأنا بتشائم بصراحة.

- متأسفين حضرتك على الإزعاج ده، إحنا مطلوب مننا إيه؟



- بطاقة الست الوالدة عشان نعمل محضر وننقله.

مدت «سعادة» يدها بالبطاقة إلى الضابط الذي تلقفها دون أن يتفحصها ثم نظر إلى «حلو» قائلاً:

- بطاقة معاليك وكارنيه شركة المبيعات خرينا نخلص يا انطونيو بيه.

تجاهله «حلو» تمامًا وهو يتطلع إلى «سعادة» قائلاً:

- هو حضرتك يا أستاذة سعادة زعلتي من كام بيت الشعر اللي قلتهم لحضرتك؟

احمر وجه «سعادة» وتوترت ملامحها قبل أن تجيب:

- لا وأنا حزعل ليه يعني؟ أهو كلام.

ابتسم «حلو» قائلاً:

- بس أكيد الكلام الرومانسي العاطفي له تأثير كويس على الستات، وأكيد جوز حضرتك مقصر في التعبير بالكلام عن مشاعره زيه زي كل الرجالة المتجوزين.

تدخلت «أم سعادة» قائلةً:

- انت كمان مراقب جوزها؟؟ إلهي يوعدك بعشماوي إنت وهو في حبل واحد.

قالت «سعادة» بحدة:

- ماما!!!! أرجوكي قولتلك مليون مرة مش كدة!!!

قاطعها «حلو» قائلاً:

- واضح أنني كان عندي حق، وفي تقصير، مش كدة؟

ازداد وجه «سعادة» احمرارًا ولكن هذا لم يمنعها من مواصلة الكلام قائلةً بغضب:

- على الرغم من إنها حاجة ما تخصصكش، إنما لازم تفهم إن العواطف والرومانسية مش مجرد كلام بيتقال ويتردد وخلص، نظرة العين للست وهي بتناول الراجل كويابة الشاي ممكن تغرقها رومانسية، لمستة ايديها وهي بتناوله كيس الزبالة الصبح مع ابتسامة برضه رومانسية، صبه للمية من الازازة في كويابة و مناولته ليها وهما على الغدا مع بعض أحلى رومانسية، الحكاية مش دايماً شعر وورد وقمر وتنهيد، اللي يحب بيعيش حياته بضحكة واحدة، وابتسامة ما بتتغيرش، لأن قلبه أخذ من الدنيا كل اللي هو عاوزه، شريك

فتشوا الحيوان ده عشان عامل أخرس، وطلعولي كل اللي معاه.

امتدت يد المخبرين ناحية «حلو» الذي تراجع بحركة حادة وهو يدفع المخبرين صائحًا:

محدث يمد يده عليّ، أنا أصلاً معايش حاجة ومعايش جيوب أشيل فيها حاجة، مفيش بس غير خمسة وسبعين جنيه حاططهم في الصديري عشان كنت راكب بيهم، أههم.

ومدّ «حلو» يده داخل صدره وأخرج النقود ووضعها على مكتب الضابط الذي نظر إليه بغضبٍ قائلاً:

- يا حلاوة يا حلاوة، حاطط الفلوس في صدرك؟؟ ولا بس جيبه جلد؟؟ وكنت من فوق؟؟ ومش عاوز تقول اسمك؟؟ ومش عاوز تطلع البطاقة؟؟ لينتك طين إن شاء الله، فتشوووه بالعافية وطلعولي اللي معاه

جاءت انقضاضة المخبرين على «حلو» مُفاجئةً تمامًا، ولكنه بلا وعيٍ أو إدراكٍ، استقبل الانقضاضة بحركة دفاعٍ عن النفس أعطته انطباعًا أنه مُدرَّب عليها فور أن وجد المخبرين قد انطرحا أرضًا بعنفٍ، وهنا تجمّد الموقف للحظاتٍ قليلةٍ، قبل أن تُفجّر «أم سعادة» بانقضاضةٍ على ظهر «حلو»

تجبرّ «حلو» وهو يستمع إلى كلمات «سعادة» التي أفقدته القدرة على النطق، شعر بحنينٍ شديدٍ لها، شعر برغبةٍ عارمةٍ في ضمها إلى صدره فورًا، قفز العشق والوله من قلب نظراته لها، حتى إنها لاحظت هذه النظرات فتوترت خلجاتها بشدةٍ مع استمرار احمرار وجهها، وقطع حبل الصمت مرةً أخرى أمها وهي تصرخ قائلةً:

- مجنووون يا حضرة الضابط، سيريال كيلر بقولك.

هبّ الضابط «عمار» من مجلسه بحركةٍ حادةٍ مُخاطبًا «حلو» قائلاً:

- انت حتعملي صالون ثقافي هنا يا روح أمك؟؟ إطلع بالبطاقة خليني اقلل المضهر وأقلل الليلة السوداء دي على دماغتكم.

ولكنّ «حلو» كان لا يزال ينظر إلى «سعادة» بعشقيٍّ، غير عابئٍ بكل من يحيطون به أو بصرخات الضابط الجنونية، مما دفع الضابط إلى ضغط الزر فوق مكتبه ليستدعي المخبر الذي دلف إلى حجرته على الفور بصحبةٍ مخبرٍ آخر، قاموا بأداء التحية العسكرية إلى الضابط الذي لم يبادلهم التحية حيث قال بغضبٍ:



شاف فيها حلو كانت إمتى؟؟

- بصي يا «سعادة»، بنته قالتلي أنه ابتدى يستجيب للعلاج اللي بياخده، وإن الدكتور طمنهم أنه متوقّع يستعيد وعيه خلال أربعة وعشرين ساعة إن شاء الله بعد ما نتايح التحاليل اتحسنّت كثير.

- طيب يا عصام دلوقتي أنت حتروح ثاني بكرة والا أروح أنا؟؟

- لا أنا ولا أنتي، أنا أخذت نمرّة بنته سلمى، وأول ما حيفوق حتسأله بعد ما فهمتها أن الموضوع مقلق فعلاً، وحتكلمني فوراً، وأنا كدة كدة حكلمها بكرة الصبح اسأل ثاني، وحسأل كلّ ساعة لحد ما نعرف هل الراجل عنده معلومة والا لا.

توترت «سعادة» بشدّة وهي تقترب من منزلها وقالت:

- يعني أنا حافضل كدة لحد بكرة؟؟ ما اعرفش عنه حاجة؟؟ أنا حموت من القلق يا عصام، حموت.

وبدأت نبرتها تدل على أنها سوف تدخل في نوبة بكاء مرة أخرى، مما جعل «عصام» يبادرها بقوله:

- يا ستي الصبر، من هنا لبكرة الصبح مش كثير، الساعة عدت ثلاثة صباحاً،

٩

- يعني إيه يا عصام معرفتش تقابل الحج «عزازي»؟

كان هذا هو سؤال «سعادة» باستنكار واضح أثناء طريق عودتها من القسم بصحبة أمها وأبيها وهي تخاطب «عصام» عبر الهاتف، كان «عصام» في طريقه إلى منزله بعد نزوله من بيت الحج «عزازي» ومعرفة حالته الصحية من ابنته «سلمى» وزوجته وأنه طريح الفراش في المستشفى منذ يومين كاملين ويحتاج إلى راحة تامة، مما دفع «سعادة» إلى الانفعال رغماً عنها حيث شعرت أنها بصدد فقد آخر طرف خيط يدخل الطمأنينة على قلبها بخصوص أي معلومة عن مكان تواجد «حلو» الذي انقطعت أخباره تماماً، وأعقبت سؤالها بسؤال آخر:

- يعني يا عصام دلوقتي مقيش طريقة نعرف من الحج عزازي ده آخر مرة

ده أنا فضلت مرابط قصاد باب البيت عندهم مع البواب لحد ما أهله جم  
من المستشفى يا دوب من نص ساعة، بصي، كام ساعة زمن ونعرف راسنا  
من رجلينا، وإن شاء الله خير، اطمني بس وادعي ربنا، ياللا خشي نامي،  
تصبحي على خير.

أنهت «سعادة» المكالمة والدموع تكاد تتفجر من مُقلتيها، ورفعت عينها  
نحو السماء قائلةً بكلّ خشوعٍ وأملٍ ورجاءٍ:

- يا إلهي رب .

وقلبها يخفق بمنتهى العنف.

\*\*\*\*\*

ألوان، ألوان، ألوان

مرة أخرى وجد «حلو» نفسه محاصرًا بالألوان لدقائق قليلة، انتهت سريعًا  
عندما خفتت تدريجيًا ووجد نفسه واقفًا من جديد داخل البهو الكبير  
المُمتلئ بالكتب، ليُطالع صفحات الكتاب العتيق الذي اتخذ قمة تلٍّ من  
الكتب مكانًا، دون أن تصدر عنه أي لفظةٍ أو حركةٍ.

اقترب «حلو» من الكتاب بعد أن عاد إلى هيئته الأصلية قائلاً:

- والنبي إنت مش مكسوف من نفسك؟؟ مش ناوي ترحم اللي جابوني من  
عمايك السوداء دي؟؟ يعني أنا لو مسكتك فرتكت جلدتك دلوقتي تفكر  
أبقى غلطان؟

صدر الصوت من قلب الكتاب قائلاً:

- يا حلو قُلتك بصراحة انت اللي حظك وحش.

- حظ إيه يا كتاب العجزة أنت؟ ملبسني جيبة جلد في نوة إسكندرية وتقولي  
حظ؟؟ باعتني من غير بوك فلوس فيه خمسة جنيه فضة حتى على بعض  
وتقولي حظ؟؟ أنت قاصد تذلي يا حليمو، قول آه، قوول.

- يا ابني والله أبداً، هي ظروف الحواديت كدة، الأبطال ما بيتخلقوش من  
الفراغ يا «حلو»، وكل واحد فيهم بيبذل مجهود كبير عشان يسعد اللي  
حواليه.

- أيوة أيوة فعلاً، أنا كنت ببذل مجهود كبير أول مرة أني أهرب من العار  
ومن فرج، والمرّة الثانية كان في عمارة بحالها عاوزة تفتشني تفتيش ذاتي  
وأنا لأبس جيبة على اللحم، وكله كوم والولية الحرياية أم سعادة، يا ليت كان

سيغي معي، يا خساااارة، عمومًا، أنا مش لاعب، كدة شكرًا، لإنني بصراحة داخل على نزلة شُعبية حادة احتمال تقلب معايا بسل، لأنك أكيد المرة الجاية حتبعثني الاسكيمو بملاية.

- يا ابني أنت اللي بتختار الهدف، وأنا ما عليا إلا اني اسخرلك شخص، الحدوتة، ده أنطونيو ده كان أكبر قائد قوي رومانسي في التاريخ، ده باع الدنيا كلها عشان حبيبته، غلطش أنا؟؟

- غلطش؟؟ روح يا شيخ ربنا ينتقم منك ده أنا كعوب رجليا شققت من الساقعة والمشي في برك المطر، البرد دخل في عظمي بهدلني، مش حاسس ببركبي، وعصعوصتي منملة تمامًا.

- خلاص خلاص، المرة الجاية نعمل حساب الجو، والمواصلات، والفلوس، نشوفلك حاجة متكاملة .

- جو ومواصلات وفلوس ونشوفلك؟؟ أنت بتكلمني أكنك بتكلمني عن شقق إسكان الشباب!! أنت كتاب والا كراسة شروط بس عشان أفهم؟ إيه الاستفزاز !!!؟٥٥

- أنا بس عاوز أساعدك، بس تعرف، المرة دي كان في تطور ملحوظ، خدت

بالك من وش «سعادة» لما قتلها الشعر والكلمتين الحلوين بتوعك؟؟

نظر إليه «حلو» باندھاش وهو يقول مستنكرًا:

- هو أنا لحقت يا حليمو؟ ده أنا اتقفشت في بير السلم قفشة محصل الكهربي اللي جي يحصل فواتير عمارة يقطع فيها النور تسع ساعات في اليوم، وكان منطري يقرف الكلب الأجرب، بس تعرف برضه؟ أنا شفت في عنيتها نظرة في القسم، ما شفتهاش من زمان، من سنين، نظرة الخضة اللي كنت بشوفها أما كنت بقولها كلمة حلوة مش متوقعها، نظرة الذهول غير المنتظر، كان شكلها حلو قوي فعلاً يا حليمو.

صدر صوت «حليمو» فخورًا من قلب الكتاب قائلاً:

- مش قتلتك؟؟ أنا الحواديت بتاعتي ما تخيبش أبدًا.

نظر «حلو» إلى الكتاب ببلاهة وقال:

- والنبي تتوكس، وتشوفلنا حدوتة عدلة يا ريت ما تنتهيش بجريمة قتل أو دخول رعاية مركزة من بوارد مرض التهاب المفاصل اللي هيجيلي من البرد.

- طيب، شوف أنت المرة دي تحب تعمل إيه؟ إيه اللي ناقصلك في حياتك

أخذ «حلو» يدور بعض الوقت في مكانه وهو يحاول جامدًا البحث عن أسباب فتور العلاقة بينه وبين حبيبته «سعادة»، لقد افتقد خلال زواجه للكثير والكثير من المشاعر، ولكنه الآن لا يعلم أي تلك المشاعر أكثرها تأثيرًا، لا يعلم ما يقدمه لها، حاول أن يقدم لها السعادة لكي يفهم رأيها، حاول أن يقدم لها الرومانسية حتى يتأكد من مشاعرها، فماذا يقدم لها بعد؟؟

هل يقدم لها المال؟؟؟ أنه يعلم تمامًا أنها غير مهتمةً بالمال، لقد تزوجته وهو في حالة مادية بسيطة، وعاشت سنوات عمرهما لم تشتك ولم تطلب، «سعادة» ليس لها مطالب مادية ولن تسعدها الأموال.

إذن، ماذا يقدم لها حتى يدخل المشاعر مرةً أخرى إلى قلبها؟ كيف يعوضها سنوات الفتور التي مرّت عليهما؟

لأبْد من أن يختار لها شعورًا جديدًا لم تختبره منذ زواجهما الذي دام خمس سنوات، يجب أن يختار لها تجربةً لم تمرّ بها معه من قبل.

ظل السؤال يتردد بداخله، ماذا يختار لها؟؟؟

نطق بها «حلو» وهو ينظر إلى الفراغ مشدوّهًا، مما جعل «حليمو» يسأله من قلب الكتاب باهتمام:

- مغامرة؟؟ مغامرة إيه؟؟ وضجلي.

نظر «حلو» إلى صفحات الكتاب قائلاً:

- أنا من يوم ما اتجوزتها وأحنا عاملين زي البط المستكوفي، نصحى الصبح، نتشمس، ونرجع آخر الليل على العشة نتدق، مفيش تجديد في حياتنا خالص، لا خروج ولا سهر ولا مواقف نفتكرها، مفيش إثارة خالص في حياتنا، وأيامنا كلها ماشية برتابة واحدة ما بتتغيرش.

تقلبت صفحات الكتاب بهدوءٍ وصَدَرَ صوت «حليمو» قائلاً:

- امممم، مفهوم، بس برضه أنا محتاج توضيح أكثر عشان بترجع بعد كدة تقولي أنني بدبسك.

- بص يا حليمو، أنا محتاج أكون مُغامر، أخطف «سعادة» خطف كدة، وأخليها تشوف في يوم واحد اللي ما شافتوش بقالها سنين طويلة.



لمعت صفحات الكتاب للحظة وقال «حليمو»:

- تصدق بالله؟؟

- لا إله إلا الله.

- والله انت ابن حلال.

- الله يكرمك، اشمعنى؟

- أنا دلوقتي بس عرفت أنت حتكون مين.

- إرحم أهلي.

- لا لا ما تقلاقش، لا حوديك أوروبا ولا أمريكا، أنا حبيبك حدوة من هنا.

من عندنا، شيهنا.

- شبهنا؟؟؟ بقولك مغامرة تقولي شبهنا، إعتقني لوجه الله.

- اصبر بس على رزقك، إجهز للمغامرة، الساعة خلاص عدت اتنين صباحًا.

- طب بس فهمني حتسخطني ايه المرة دي؟؟ ما بقتش ناااافع.

- يا ابني بلاش غلبة، إجهز.

وارتجت جدران المكان من جديد وبدأت وريقات الكتاب في التقلب بسرعة

شديدة وبدأ الصوت الجمهوري في ترديد ذات الجملة:

- كل وقت، ول..

قاطعہ «حلو» بصرخہ ہادرہ:

- استنبیاتی

- ايه؟؟ فى ايه؟؟؟

- أحب على هوا مشك يا شيخ، أي حاجة بهدوم، عادية، لبس بني آدمين، لا

أحمر ولا مايكرو ولا جلد تمساح الله يستر عرضك.

- اطمئن، وإجهز.

وعاد الصوت الجهوري مرةً أخرى الى ترديد الكلمات:

- كل وقت، وله حدوده، بس المهم، تكون مضبوطة.

وسطعت الألوان من جديد، واختفى «حلو» مرةً أخرى، في قلبِ حدوتةٍ

جديدة، وأخيرة.

\*\*\*

ذات التجربة التي يمزُّ بها «حلو» في الانطلاق إلى كلِّ حدوتةٍ وحكايةٍ جديدةٍ، نفس الألوان ونفس الشعور بفقدان القدرة على تحديد الزمان والمكان لعدة دقائق، يعقبها انقشاع تامٌّ لضباب الألوان المحيط به من كلِّ صوب، ليجد نفسه دائماً في مكانٍ جديدٍ.

وهذه المرة، وجد «حلو» نفسه واقعاً في أكثر مكانٍ غريبةٍ، سفينةٍ كبيرةٍ عتيقةٍ مُظلمةٍ، في قلب الليل، لا يكاد سطحها يظهر إلا عن طريق النور المنبعث من بعض القناديل القديمة التي تُضاء بالزيت، كانت السفينة تسير وسط المياه بتؤدةٍ شديدةٍ.

تحسس «حلو» ملابسه ليجدها ملابسَ قطنيةٍ فضفاضةٍ دافئةٍ، يُزِينُ خصره قطعةً من القماش الطويلة المُلتفة عدداً من المرات حول وسطه، وعلى رأسه كانت عمامةٌ قطنيةٌ ضخمةٌ، امتدت يده تتحسس وجهه فوجد شاربا كئناً، ولحيةً خفيفةً.

شعر بثقلٍ ما في أذنيه، فامتدت يدها تتحسسهما فاصطدمت بقرطين معدنيين مستديرين كبيرين متدليين منهما مما جعل «حلو» يقول مُزعجاً: - يعني هو أنت إن ما كنتش تلبسني أحمر، أو عريان بجيبة على اللحم، تقوم

ملبسني حلق؟؟؟ كتاب حواديتك كل أبطالها شمال، ولا عمرك حتفلح.

دقق «حلو» في الشاطئ القريب من حوله، ثم ما لبث أن ارتفع حاجباه اندهاشاً وقال:

- إيه ده؟؟؟ ده أنا في النيل؟؟؟ ده مصنع إسمنت طرة أهو!!! طيب وإيه بقى السفينة دي؟؟؟ ويا ترى مين أبو حلق ده اللي راكب سفينة ضخمة كدة؟؟ عامل فيا إيه المرة دي يا حلیمو؟؟؟ استر يا رب.

بدأ «حلو» يتلفت حوله ليشاهد سطح السفينة الكبيرة وأشرعتها الممتدة لمسافةٍ عاليةٍ، إنها لا تشبه أياً من المراكب الشراعية التي تسير في النيل، وفي مؤخرتها كانت حجرة خشبيةً أسفل قمرة قيادتها المرتفعة عبر درج صاعد، كُتِبَ عليها بحروفٍ عربيةٍ خالصةٍ وبخطٍ كبيرٍ منقوشٍ على أخشابها: «سفينة السندباد البحري»

صاح «حلو» مُستنكراً:

- سندباد؟؟؟ سندباد يا حلیمو؟؟؟ حرام والله، حرام، أقولك مُغامرات عاطفية أنا والمدام تقوم تخليني سندباد؟؟؟ يعني المفروض أعمل إيه أنا دلوقتي؟؟؟ أتصرف أزاوي؟؟؟ افسحها في بُق رُح؟؟؟ والا اجري بيها قصاد تنين براسين؟؟؟

أوف بقى، اووووف.

أخذ «حلو» يدور فوق متن السفينة وهو يفكر كيف يتصرف، بينما التيار النهري يسير بالسفينة بهدوء شديد تجاه الشمال، إلى أن قال «حلو» مُحدثًا نفسه:

- مممم، طيب، أنا مش عارف بصراحة أقدر أعمل إيه إنما المهم دلوقتي أوصل لسعادة، عمومًا، الفجر أهو بيشقشق وعـ...

قطع حديثه مع نفسه صوت سريئة الشرطة النهرية وهي تقترب من السفينة بسرعة ويكاد ضوء كشافاتها يُحيل الليل نهارًا لتستكشف طبع السفينة مع صوتٍ صادرٍ من مذياعٍ عالٍ يقول:

- إرمي المرسى وإثبت للتفتيش وأظهار أوراق الملكية وتصاريح النقل.

لطم «حلو» خديه وهو يحاول الاختباء و الاختفاء من فوق متن السفينة هنا أو هناك قائلًا:

- ياالادي المصيبة، ياالادي المصيبة، هو أنا مكتوبلي في كل الحوادث يطلعلي بوليس؟؟؟ هي وزارة الداخلية فتحت فرع حوادث؟؟؟ ياالادي النصيبة، وبضاعة إيه؟؟؟ يا حومتي!! أنا عارف حظي الهباب، اكيد دي حتكون

أول مرة في حياة السندباد يتاجر في المخدرات، أنا عارف حظي الأسود،

يوريني فيك يوووووووووووم يا حليمو خُد من قلبي وضر.

بدأت دورية الشرطة النهرية الممثلة في أربع أفرادٍ من الاقتراب من السفينة والاتحام بها، والصعود إلى متنها محملةً بالسلاح، واتجهوا فورًا إلى «حلو» وأحاطوا به وقال قائدهم بخشونة:

- أوراقك بسرعة.

تحسَّس «حلو» ملبسه بتوترٍ وهو لا يعرف ماذا يجب أو ماذا يقدم، ثم ما لبث أن ابتسم ابتسامةً بلهاء إلى قائد المجموعة وهو يشير إليه بكفيه مع كتفيه بما يعني أنه لا يملك أوراقًا، مما جعل القائد يقول بغضبٍ:

- ماشي من غير ورق؟؟ ليلتك سودة أن شاء الله، ويا ترى بقى محمل إيه

بضاعة؟؟؟ انت شغال في الممنوع يالا؟؟؟

نظر له «حلو» بذات الابتسامة البلهاء، وهو لا يجيب دليلًا على أنه لا يعلم أي شيء عن محتوى السفينة، وهو يدعو في سريرته ألا يكون محتواها يحمل أي كوارث.

انتشر المرافقون لدورية الشرطة النهرية داخل السفينة بإشارةٍ من يد القائد

ودخلوا إلى قلبها للحظات ثم عادوا وقال أحدهم:

- تمام يا فندم، محملة اتواب قماش يا فندم.

نظر القائد إلى «حلو» بتشكك ثم قال:

- قماش؟؟ وبتنقله بالليل؟؟ مع انها غريبة شوية إنما ماشي، فين أوراق البضاعة دي؟؟

زفر «حلو» براحة، ونظر له بعد أن عادت الدماء إلى الجريان عبر عروقه من جديد وقال بسرعة:

- والله سعادتك، شوف والله، الراجل اللي معاه الورق أخذ الفلوكة ونزل البر يجيب أكل وكدة سعادتك.

نظر له القائد في تشكك وهو يقول:

- بس دي مخالفة كبيرة، النقل النهري له مواعيد، ومفيش معاك ورق للمركب، ولا ورق للبضاعة، والمركب أساساً شكلها مش ولأبد ومش طبيعية كدة وفيها حاجة غلط؟؟ دي لازم لها تصريح مخصوص.

ازدرد «حلو» لعبابه بصعوبة وهو يقول للقائد مُحاولاً الخروج من الموقف

المتأذم:

- نركن حالاً حضرتك، بس الله يكرمك اركنها أنت عشان أنا ما بعرفش أسوق غير اوتوماتيك، ماليش في المانيوال خالص، حتى بقالي ساعة بأدور على الدبرياج ودايخ عليه مش لاقية.

عقد القائد حاجبيه بغضبٍ واندهاشٍ وهو يقول:

- أنت حتستعبط يا جدع أنت؟؟ أنت عاوز تفهمني إنك راكب مركب بالحجم ده ومش عارف تمشيها!!!

نطق «حلو» بسرعة:

- إن شالله اطفحه سعادتك ما أعرف.

صاح القائد في رجاله قائلاً:

- ارسى على البر يا ابني أنت بالمركب دي وهاتولي البني آدم ده عشان نشوف حنعمل فيه إيه ونشوف صاحب المركب اللي يقول عليه، ليلتك سودة أنت وهو، أنا حصادر المركب دي بالبضاعة اللي عليها وحاخوب بيوتكم.

هَزُّ «حَلُو» كَتْفِيهِ بِلَامْبَالَةٍ قَائِلًا:

- صدقني أنا مش حمنعك، ان شالله تبيع منها في الاشارات حتت تنضيف.

ازداد غضب القائد مع تلك الجملة وتحرك رجاله نحو مقود السفينة الكبيرة واقتادوها نحو البر بحكمة، متجهين إلى أول مكانٍ يمكن فيه إرساء السفينة، ونزل منها الجميع إلى البر حيث قال «حلو» متسائلاً بقلق:

- دلوقتي حضرتك السفينة معاكم، وتحت أمركم، ممكن أروح أشوف الراجل صاحبها عشان ييجي يتصرف معاكم ويشوف برضه أكل عشه؟؟

قالها «حلو» وهو يجمع في قرارة نفسه الهروب فور أن يتركوه يرحل، ولكن قائد الدورية النهرية قال بغضب:

- الكلام ده، تقوله في قسم المعادي، هناك تبقى تتصل بالزقت صاحب المركب وتقوله يشرف هناك، احنا حنسلمك هناك وخلص، أنا مش فاضيلكم، والمركب متحفظ عليها بمعرفتنا.

بدأ التوتر يسري في عروق «حلو» مرة أخرى وهو يصيح بفزع:

- قسم المعادي؟؟ يا لهووي، يااااالهوي، بلاش القسم الله يكرمك، طيب

أقولك، بلاش قسم المعادي طيب، تعالى نروح قسم مصر القديمة، أنا مش مهم، إرحم الضابط اللي هناك الله يكرمك، ده اليوم لسة في أوله حروح منه

فيسيسين يا لهوووووووووووي

صرخ القائد في الافراد المرافقين له:

- ياللا على القسم.

وهنا، قرر «حلو» أن يقوم بآخر شيء متوقَّع في مثل هذا الموقف؛ ففي لحظة واحدة كان قد تملَّص من يد مرافقه، وانطلق يجري عابراً الطريق وكأنَّ شياطين الأرض كلها تطارده، ومن ورائه، انطلق أفراد الدورية.

وبدأت المطاردة مع نسيمات الفجر الأولى.....

大東大史女

شارفت الساعة على الرابعة و النصف من صباح اليوم في الوقت الذي دلفت فيه «سعادة» ووالديها إلى منزلهم حيث قالت بتعب بالغ:

- حمد الله على السلامة يا ماما، الحمد لله أننا عرفنا نخرج من القسم بعد الحاجات الغربية اللي حصلت دي، ده الضابط كان حيتجنن أما الحرامي



والأ لا، دايماً في مسلسل «إن سي إس أي» كان بيرجع، دايماً.

- خلاص، أنا حخش أنام بقى عشان نبذل أدوار بكرة الصبح، وانتي تنامي،  
ماشي يا بطة حياتي؟

وقام الأب والتفت إلى «سعادة» وهو يرسم لها بوجهه إيهاءاتٍ مضحكةٍ مما  
دفع «سعادة» إلى كتمان ضحكاتها بصعوبةٍ وهي تقول معقبةً:

- أنا كمان داخلَة أريح جسمي يا ماما شوية، وتعبانة والنور ابتدى يشقشق  
ومحتاجة أريح جسمي شوية.

قاطعتها والدتها وهي تسأل بانزعاج:

- مفيش أخبار عن سبع البرومية؟؟؟

تحولت ملامح «سعادة» إلى الحزن وهي تشير برأسها أن لا، ونهضت متجهةً  
إلى غرفتها، دخلت إليها وأغلقت بابها، اقتربت من الفراش وألقت بجسدها  
وهموها المتناقلة فوقه واسندت رأسها إلى طرفه وهي تفكر بصمتٍ، تُرى  
أين يمكن أن يكون «حلو» في هذه اللحظة؟؟

وماذا تراه يفعل؟

\*\*\*\*\*

- وقَف عندك

بقووووووووووووووووووول

كان هذا هو صراخ أحد العساكر المطارين لـ «حلو» عبر شوارع المعادي  
الفارغة من المارة في هذا التوقيت من عمر اليوم وهذا الطقس البارد في  
قلب الشتاء أيضاً.

شعر «حلو» أنه يجري كالشمسوس، وكان جسده الرقيق عاملاً مساعداً على  
الانطلاق بخفةٍ ومهارةٍ بين المباني وفي الطرق المتفرعة ومن خلفه رجال  
الشرطة بلا ياس.

كان يجري وقد اختار طريقاً خاصاً، يقوده مباشرة إلى بيت «سعادة»، ومع  
مرور الدقائق، زاد فارق المسافة بينه وبين مطارديه، حتى بدأوا في الغياب  
عن نظره، في الوقت الذي كان قد وصل بالفعل إلى بيت «سعادة».

وقف للحظاتٍ قليلةٍ ليعيد تقييم الموقف، ونفض عن رأسه فكرة طرق الباب  
مجدداً وخصيصاً مع وجود الفقامة القطبية الملقبة بـ «أم سعادة»، ولهذا  
خطرت في رأسه فكرةٌ سريعةٌ وضعها موضع التنفيذ على الفور.

انطلق «حلو» إلى جانب العقار، وقفز في منتهى الخفة متعلقاً بمواسير





على الحراك ولا مجرد المقاومة وهو يكمل بعد أن منحها ابتسامة عذبة:

- أنا عارف انتي اتعذبتى أد إيه في الفترة الأخيرة، وعارف قد إيه اتظلمتي، وعارف قد إيه ضحيتي، وأكيد لازم حد يرد لك جزء ولو بسيط من تعبك ووجعك وتضحيتك، حتى لو عن طريق فسحة أو مغامرة أو حاجة ما عيشتهاش قبل كدة، انتي بقالك سنين ما اتفحيتش فسحة حلوة.

بدأت «سعادة» تعقد حاجبها وهي تستمع إلى كلماته التي مست جانبًا مظلمًا في كيانها، ولكن نظرات الشك التي انطلقت من عينيها كانت تؤكد أنها ما زالت في مرحلة الرعب الشديد، وهذا ما أيقنه «حلو»، أيقن أن كلماته لن تمثل أي قيمة لـ «سعادة» خلال الفترة التي تشعر فيها بهذا الحجم من الرعب.

نظر إلى عيني «سعادة» مباشرة، بصمتٍ تامٍّ، وعلى وجهه ابتسامة هادئة، بينما لم ترفع عينيها من فوق عينيهِ وهي تغوص فيهما وترتعد فرائصها، ولكنَّ

لسببٍ ما بدأ الهدوء يجد طريقه إلى قلبها، لسبب ما شعرت «سعادة» أنَّ هاتين العينين ليستا غريبتين أبدًا، وأنهما لا تضمران شرًّا لها على الإطلاق،

نظراتٌ ليست مخيفةً، بل محببةً إلى قلبها، مألوفةٌ لديها، ولكنها لا تعرف هذا الشخص، حتى يده التي تكمم فمها، لا تؤذيها، بل أنه يضعها بكل هدوءٍ على فمها، ولا تدري هي لَمَ شعرت بأن ملمسها معتادٌ.

دقائقٌ مرَّت وهي تتساءل في قرارها، و«حلو» لا يزال يرمقها بذات النظرة الحانية المحبة، وفوق شفتيه أفضل ابتساماته، ثم ما لبث «حلو» أن بدأ بهدوءٍ يسحب يده من فوق فم «سعادة» وعلى وجهه ذات الابتسامة وذات النظرة، إلى أن جلس مواجهًا لها وقد عادت يده إلى جانبه.

لماذا لا تصرخ؟؟ لماذا لا تملأ الدنيا عويلاً؟ لماذا لا تستنجد بأحدٍ ما؟؟ ما هذا الهدوء الغريب الذي يغزو أطرافها؟؟

إنَّ مجلسه ونظراته ولمساته تذكراها بشخصٍ ما، شخصٍ قريبٍ محبٍ إلى قلبها...

إنه يذكرها بـ...!

قطع حبل أفكارها تحطم باب غرفتها بعنفٍ شديدٍ، ودخل منه الضابط «عمار» وهو يشهر سلاحه في وجه «حلو» قائلاً وحوله عددٌ من أفراد الشرطة مدججين بالأسلحة:

- ولا حركة، حركة واحدة وحضرك رصاصة تجيب أجلك.

انفجر الموقف مع انتفاضة «حلو» وعودته إلى الورا مُلتصقًا بالجدار، بينما دلفت «أم سعادة» إلى الغرفة وأبيها الذي توجه إلى «سعادة» وضماها في خوف بينما صرخت «أم سعادة» بجذٍ واضح:

- أنا قلت أنك حاترجع ثاني، أول ما سمعت البت بتصرخ نص صرخة، فهمت، وكلمت البوليس يا حرامي يا سفاح يا، إيه ده؟؟ مين ده؟؟؟ انت مين؟؟ ده مش هو الحرامي!! ده واحد ثاني!! مين ده؟؟

نظرت «أم سعادة» إلى «سعادة» وهي تتساءل:

- مين ده؟؟؟

ثم التفتت إلى الضابط «عمار» وهي تردد:

- مين ده؟؟؟؟!!!

صرخ الضابط «عمار» في وجهها وهو يقول:

- بس يا ولية، بس لاخذك رصاصة انتي كمان، حللي عني الساعة دي، جننتوني بقالكم كام يوم، هو أنا فاتح القسم عشانكم؟؟؟ اسكتي.

ثم التفت إلى «حلو» وهو لا يزال موجهاً سلاحه إليه مباشرة قائلاً:

- جرى إيه يا ولاد الحرام؟؟ بقالي ثلاث أيام ما نمتش وحاسس أن المعادي اتحولت لشيكاغو في عزها بسببكم، انت مين اللي باعتك هنا وعاوزين إيه من العيلة المهبوشة دي؟؟ ومين معاك ثاني؟؟ انطق؟؟؟

شعر «حلو» أن الموقف يزداد تأزماً، وأن الوضع على وشك الانفجار بالفعل، الكل مصاب بالتوتر القاتل، الكل لم يعد يحتمل مزيداً من المفاجآت، ولكنه لن يخاطر بفقدان شعور «سعادة» هذه المرة، إنها لن تفهم ما يحدث مهما حاول أن يوضح لها في ظل هذا الموقف شديد التعقيد.

كانت أشعة الشمس قد بدأت تجد طريقها إلى قلب الغرفة في هذا الوقت المبكر من النهار، وقد قاربت الساعة على السابعة صباحاً، قطع صمت المكان صوت الضابط «عمار» وهو يعيد سؤاله بلهجة صارمة:

- أنت حتنطق أنت مين وإلا أفرغ فيك رصاصتين ونخلص بحلقك اللي في ودك ده؟

أجاب «حلو» بسرعة:

- لا لا لا، مالوش لزمة طبعاً حضرتك، بمنتهى البساطة حضرتك، أنا سندباد.



ورغم أن الساعة لم تكن قد تعدت الساعة صباحًا ببضع دقائق، إلا أن الأمور قد تفجرت مرةً أخرى فور أن بدأت سحبٌ من الألوان في الظهور مرةً أخرى، وبدأت الأشكال في التداخل مرةً أخرى.

نظر «حلو» بسرعةٍ إلى النافذة ليتأكد أنه ما زال في بداية النهار، وأن اليوم ما زال في أوله، ولكنه شعر بذات الشعور الذي يشعر به مع نهاية كل حكاية، لذا، لم يعر الأمر كثيرًا من الاهتمام حين نظر إلى «سعادة» مرةً أخيرةً وملامحه تبدأ في الاختفاء في قلب ضباب الألوان البراقة وهو يقول:

- اللي باعتني، شايل ليكي في قلبه أكثر من سعادة بابا نويل للعالم كله، وأكثر من حب انطونيو لكليوباترا، وأكثر من حلاوة روح وشقاوة السندباد لبلاد الدنيا.

ارتجفت «سعادة» لوهلةٍ وهي تحدّق في عيني «حلو» وهي لا تزال بين ذراعي والدها وهي تتمتم بخفوتٍ شديدٍ للغاية بصوتٍ لا يكاد يخرج من فمها:

- حلو؟؟؟؟

ولكن «حلو» قد رآها بالفعل وسمعها، فأعطاهما أفضل ابتساماته، قبل أن

يغيب في ضباب الألوان ويختفي مرةً أخرى...  
وأخيرةً.

\*\*\*\*\*

لا مؤاخذه وأنا مش واحد بالي؟؟؟

صدرت من «حليمو» ضحكة قصيرة للغاية اتبعها بسؤال:

- ليه كدة بس يا حلو؟ دا انا بحاول أساعدك يا ابني.

صاح «حلو» قائلاً:

- تساعدني؟؟ أنت بتستهيل؟؟ أنت متفق معايا أن النيلة الحدوتة تخلص

أمتي؟؟

رد «حليمو» قائلاً بسرعة:

- الساعة اتناشر بالليل وقت هروب سندريلا.

قال «حلو» مستمراً في غضبه:

- ولما هي نيلة «سندريلا» كانت بتهرب في أنصاص الليالي، ممكن أعرف

بس ازاي سحبتني على ملا وشي والساعة يا دوب لسة ما جاتش ثمانية

صباحاً؟؟؟ ده كدة تزوير رسمي في الحواديت، إيه شغل سرقة دقيق العيش

في أفران الحكومة ده؟؟؟؟!!

ضحك «حليمو» ضحكة قصيرة ثم قال:

١٥

ألوان، ألوان، ألوان

لا جديد

نفس المظاهر التي يعود بها «حلو» في كل مرة من إحدى الحواديت التي يرسله خلالها كتب الحواديت العتيق.

وجد «حلو» نفسه من جديد داخل القبو المظلم الذي تضيئه تلك المصابيح الضعيفة، وهو على هيئته الأصلية مرة أخرى.

كانت العديد والعديد من الأسئلة تدور في رأسه بلا توقف، وفور أن وقعت عيناه على الكتاب قال بغضب:

- مغلش عشان في سؤال مهم في المرحلة دي، هو أنا شغال عند اللي جابوك

- أصل الموضوع اختلف كثير المرة دي، والأمور أتغيرت، وجدّ جديد، وفيه ضرورة قصوى.

نظر «حلو» إلى الكتاب بغضبٍ وقال متسائلاً وهو يولّيه ظهره:

- اتغيرت في أيه بقى إن شاء الله؟؟ غيروا التوقيت الصيفي ثاني وأنا مش دريان؟؟ أنا عارف، الحكومة دي حتجيلي شلل، حتى في الحواديت.

ضحك «حليمو» من قلب الكتاب وهو يقول:

- لا، الحكومة مالهاش دعوة، والتوقيت مالوش دعوة كمان، انما الحج عزازي هو اللي له دعوة.

التفت إليه «حلو» مُندهشاً وعلى وجهه علامات الاستفهام مما جعل «حليمو» يُكمل قائلاً:

- عموماً، مفيش وقت كثير باقي للشرح، كلها كام دقيقة وحتفهم كل حاجة.

ثم بدا على نبرات صوته علامات التأثر وهو يقول:

- إنت حتوحشني قوي يا حلو، بس أديك عرفت السكة، وعارف تلاقيني فين،

ما تبقاش تنسى عمك «حليمو» اللي بينقل الحواديت.

ازداد اندهاش «حلو» من كلمات الكتاب وقال:

- هو في إيه يا حليمو؟؟ أنت حيتقبض عليك والا حاجة؟؟؟ جالك عقد عمل

في السعودية ومسافر طيب؟؟؟ أنا مش فاهم حاجة.

ضحكةٌ صدرت من قلب الكتاب بخنوٌ وهو يقول:

- أقل من خمس دقائق وحتفهم، أقل من خمس دقائق وحتلاقي الحج عزازي

داخل عليك دلوقتي، وتخرج من ثاني للدنيا، وتروح تشوف «سعادة» بجد،

وتقولها على كل اللي نفسك فيه.

وقف «حلو» صامتاً فاستكمل «حليمو» كلماته قائلاً:

- عارف يا حلو؟ أنا حقولك على حاجة حتستغرب ليها قوي، أنت خلقت

لنفسك حدوتة جديدة، حدوتة مش بس بيحاول فيها البطل يوصل لحبييته

زي كل الحواديت اللي بننقلها للناس، لا، أنت خلقت حدوتة بيحاول فيها

البطل يحافظ على حبييته للأبد بعد ما وصلها فعلاً، أنت خلّتي لأول مرة من

آلاف السنين أشوف نهاية جديدة للحواديت.

بدت على وجه «حلو» علامات التوتر والانزعاج وهو يقول:



- أنا مش فاهم حاجة بصراحة، ومش عارف ليه الحواديت بتاعتني ما كملتش  
للآخر يا حليمو أو مشيت بشكل مضبوط، وبصراحة، مش شايف أنني قدرت  
أوصل حاجة من اللي جوة قلبي لسعادة، أنا حاسس أنني فشلت تمامًا يا  
حليمو.

قال حليمو برفق:

- بالعكس، لازم تفهم إن قيمة الحواديت يا حلو بتكون دايماً في المحاولة،  
والإصرار على المحاولة، والتمسك بالقيمة الوحيدة للحدوة، اللي هي الحب،  
وأنت في كل حدوة من الحواديت اللي رحتها، كنت بتحاول من كل قلبك،  
ومُصمم، ومُصرّ، ودي الحاجات اللي حتنجح حدوة كل بني آدم بيحب  
شريكة حياته، سواء قبل الجواز أو بعد الجواز، المحاولة والتصميم والإصرار  
على الحب.

صمت «حلو» للحظات، وهو يُفكر في كلمات العجوز التي مسّت جزءاً من  
قلبه، وجعلته يشعر بالاشتياق إلى «سعادة» مرة أخرى.

بالفعل، إنه يُحبها، يعشقها، رغم كل الظروف المحيطة بهما، رغم جلبابها  
الذي شوهته بقع الزيت والذي لم تعد تُلقِي بالاً لتغييره، رغم صوت ضرباتها

المتتالية للحشرات في المطبخ وصراخها فرحاً بتحطيم رؤوس ما تطاله يدها  
منهم، رغم وزنها الزائد الذي لم تعد تهتم بمحاولة انقاصه، رغم كل ما يحيط  
بعلاقتهم من توتر لعدم الإنجاب حتى الآن وحالتها النفسية المتردية لهذا  
السبب تحديداً، إلا أنه بكل بساطة، يذوب عشقاً في مُحبتها.

هي فقط من أرادها في الماضي، وسعى إليها، وهي فقط من يعيش حاضره  
إلى جوارها رغم لطمات أمواج الحياة القاسية، وهي فقط من يرغب في أن  
يستيقظ من نومه بعد سنواتٍ عدة يُطالع وجهها الصبوح إلى جواره.  
لم يحلم بأكثر من هذا في الماضي، ولكنه نسى، أو تناسى، والآن، الآن فقط،  
يتذكر.

قطع جمل أفكاره الصوت العتيق الصادر من قلب الكتاب «حليمو» وهو  
يقول:

- دقيقة واحدة، وحيكون الحج عزازي هنا، إوعى تنساني يا حلو، وخليك  
دايماً فاكِر الكلام اللي قتلتهولك.

ابتسم «حلو» بهدوءٍ وتأثّر وهو يجيب:

- أنا مش حاقدر أنسى إنك كنت السبب الأساسي في إنني اعرف قيمة حبي

الحقيقي لسعادة، وعمرى ما حانسى اليومين الحلوين اللي قضيتهم معاك،  
طبعاً بغض النظر عن مشاهد للكبار فقط اللي كنت بتبعني فيها دي إلا أنني  
فعلاً فهمت حاجات كثير قوي عن الحب وسنينه السوداء.

ضحك العجوز «حليمو» ضحكة قصيرة قبل أن يقول:

- مش حقولك توتة توتة خلصت الحدوتة، لأن الحواديت في الأصل ما  
بتخلصش، الحواديت بتستمر وتعيش طول ما أبطالها عاوزينها تستمر  
وتعيش، أشوف وشك بخير يا حلو.

وبدأت الألوان في السطوع بشدة في القبو، وبدأت المصابيح الصغيرة تزداد  
إضاءة وقوة، وتداخلت الأشكال للحظات قليلة، ثم ما لبث كل شيء أن عاد  
إلى هدونه مرة أخرى و الكتاب مغلق كما كان في بداية الأحداث.

ومع عودة كل شيء إلى طبيعته، انفرج باب القبو عن الحج «عزاي» وهو  
يدخل إلى القبو وعلى وجهه علامات الإعياء والإجهاد، وهو يقترب من «حلو»  
ببطء ويقف أمامه مذهولاً ثم يقول:

- أنا قلت إنى اكيد حاجي أليك جنة هامة أو شبه ميت، أنت بقالك  
أكثر من ثلاث أيام تقريباً من غير أكل ولا شرب ، أنت واقف كدة وواعي

ازاي؟؟؟!!!!

نظر له «حلو» نظرة فرحة وقال:

- بقى كل ده بتجيب كوباية شاي يا حج؟؟؟ دا أنت لو رحت تجيبها من  
مزارع الشاي في الهند مشي كان زمانك جيت.

نظر له الحج «عزاي» بذهول مستمر مما جعل «حلو» يكمل بمرح:

- المهم أنك جيت، عُمر الشقي بقي، حافهمك أنا، أنا أصلي كنت اتعلمت  
من شوية رهبان صحابي من التبت كانوا جاين يدرسوا ومقيمين في المدينة  
الجامعية بتاعة الأزهر هنا واتسممو في حادثة أكلة كشري، المهم اتعلمت  
منهم كيفية الانخفاض بمعدلات الأيض إلى أقل درجة ممكنة لمقاومة الجوع  
والعطش.

نظر له الحج «عزاي» بعدم فهم تماماً وهو يقول:

- إيه يا ابني اللي بتقوله ده؟؟؟ ايه حكاية الأيض دي؟؟

رد «حلو» بسرعة قائلاً:

- لا، أنت الظاهر ما كنتش بتتابع برنامج «سر الأيض» اللي كان بيعي في

التليفزيون!! بص يا حج عزازي حفيهمك لما نطلع من هنا، يا تلحقني يا ما تلحقنيش عشان أنا خلاص حموت أدخل الحمام.

وبالفعل خرجا سوياً من القبو واتخذوا طريقهما للصعود ومنها إلى خارج المتحف حيث كانت سيارة «عصام عبدالراضي» واقفة تنتظر وفي داخلها أيضاً «سلمى» ابنة الحج عزازي التي أصرت أن تأتي معه نظراً لحالته الصحية المتردية بعد أن أفاق في المستشفى وتذكر أنه قد ترك «حلو» في القبو وصمم على المجيء رغم حالته الصحية وتحذيرات الأطباء.

وما إن رآه «عصام» حتى قفز من سيارته وأقبل عليه واحتضنه بشدة وهو يطمئن عليه، مما جعل علامات الاندهاش تبدو على ملامح «حلو» وهو يقول:

- ايه ده يا جدعان؟؟؟ هو في أيه؟؟؟ ايه حضن المطارات ده؟؟ حد قالكم أنا كنت في عُمره ولسة واصل؟؟ إيه اللي جابك هنا يا عصام؟؟

نظر له «عصام» باندھاش وهو يقول:

- يا ابني ده الدنيا مقلوبة عليك بقالها ثلاث أيام، في الوزارة والبيت، وكمان «سعادة» بُرج من دماغها حيطيير حتجنن من القلق عليك، ده غير أنك

اختفيت فجأة ومحدث لا عارف يجيبك بالموبايل ولا عارفين نوصلك لطريق، ولولا عرفت أوصل للحج عزازي اللي فاق انهاردة الفجر بس، أنا أول ما كلمتني سلمى من ساعتين اخدت بعضي وعديت عليهم في المستشفى جري وجينا، والحمد لله إن انهاردة الجمعة ومفيش بني آدم في الشارع الساعة دي تقريباً، والمتحف مش شغال كمان.

استمع «حلو» إلى كل تلك الكلمات باندهاش، ولكنه لم يردد منها إلا جملةً واحدة:

- سعادة؟؟ قلقانة عليا؟؟؟

- حتموت يا ابني من القلق، دي ما نيمتنيش من يومين وأنا داير ألف وراك وأدور عليك في كل حطة زي العيل التايه.

ردد «حلو» بحبٍ وشرود:

- سعادة قلقانة عليا، وحشتني قوي.

امتدت يد «عصام» إلى هاتفه المحمول الذي رن في جيب سترته وفور أن أخرجه ضغط أزراره ليحجب المتصل بسرعة ويتسم ليلقي هاتفه إلى «حلو» الذي تلقفه ليأتيه عبر الطرف الآخر من المحادثة الصوت الأكثر خلابة في



أطلقت «سعادة» ضحكة قصيرة مرحة والدموع ما زالت فوق وجنتيها تهرق  
كحبات اللؤلؤ، ولكنها قالت:

- حلو في حاجات كثير حصلت عاوزة أحكيلك عليها، عشان مش فاهمة  
حاجة، أنت وحشتني قوي، وفي حاجات كثيرة قوي حصلتلي الأيام اللي  
فانت، تعال بسرعة يا حبيبي، أنت واحشني قوي، نفسي أشوفك وتبقى  
قصاد عيني.

ذاب قلب «حلو» عشقاً لسماع كلماتها الطيبة، فقال بهيام:

- جايلك هوا، حالاً، مسافة السكة، أنا كمان عندي حواديت كثيرة قوي قوي  
عاوز أحكيلك عليها.

اندھشت «سعادة» لكلماته وهي تسأله:

- حواديت؟؟؟ حواديت إيه اللي عاوز تحكي لي عليها؟؟؟

اتسعت ابتسامة «حلو» عن آخرها، وهو يلتف لينظر إلى متحف دار الكتب  
مرة أخرى ويقول لها:

- حواديت السعادة.

\*\*\*\*\*

- ها؟؟ البنات ناموا؟؟

أوما «حلو» برأسه إيجاباً وأغلق باب الغرفة خلفه بهدوء ثم وضع الكتاب  
الكبير من يده فوق المنضدة المجاورة لباب الغرفة قبل أن يتجه على أطراف  
أصابعه إلى حيث تجلس «سعادة» على الأريكة أمام التلفاز تتابع أحداث  
فيلم أجنبني، وما إن جلس إلى جوارها حتى أحاطها بذراعه بابتسامة قانلاً:

- صوتي اتبجح معاهم وأنا عمال احكيلهم الحكاية بتاعة كل يوم، وبعدين  
ما بيزهقوش منها بقى، وأقعد أحشي في هدموم في بطني عشان بابا نويل،  
وأقف بالفائلة الداخلية في البرد عشان انطونيو، واتنطط على السراير زي  
القرد عشان سندباد وشغلااانة، كان يوم غلط يوم ما حكيتها لهم أول مرة

ضحكت «سعادة» بصوت عالٍ وأسرفت بكتمان ضحكتها بكفيها خشية إيقاظ الفتيات مما جعل «حلو» يستطرد قائلاً:

- إضحكي يا أختي إضحكي، وصحيهم وخليني أضحكي وأجيب من الأول ثاني بابا نويل وانطونيو وسندباد، إضحكي.

استمرت «سعادة» في الضحك مع استمرار «حلو» في كلماته بطريقته الساخرة المعتادة إلى أن قاطعها «حلو» قائلاً:

- بس إيه الحلوة دي والعسل ده والجمال ده؟

احمرّ وجه «سعادة» وهي تزيج يده من وراءها وتقول:

- مالکش دعوة يا فالح وخليك في حالك.

ارتفع حاجبا «حلو» باندھاش وهو يقول:

- يا حومتي؟! بقى أنا بقالي ساعتين ونص بحاول أنيم بناتك الثلاثة جوة وفي الآخر تقولي خليك في حالك!!! ده أنا اعملكوا مجنون هنا الليلة دي!!

دارت «سعادة» ابتسامتها الخجولة وهي تقول له دون أن تنظر إليه:

- ما إنت مش حتودينا لماما بكرة زي ما أنا طلبت منك وماسك في رأيك.

اعتدل «حلو» مبتسماً وهو يقول لها:

- يا حبيبة قلبي بكرة أنا قايلك إنه بتاعي أنا وأنت بس مفيش ماما ولا بابا، خللي ماما تنكد علينا في يوم ثاني، العيال بس اللي حنعيدهم على ماما تجلدھم براحتھا، إحنا زوجان بقى، ده حتى عصام كلمني كان عاوزنا نخرج

معاه هو ومراته وأنا اعتذرت، زي ما خلعت بالعافية من الحج عزازي كدة قصادك في مكالمة الظهر، سعادة، بقولك إيه، أنا واخذ أجازة بالعافية يومين

وعاوز أعيد فيهم الذي مضى يا غزال أنت يا عسل، أنا منبه على البواب أي حد يسأل عليا من سكان العمارة يقولهم مسافر، مسافر يا غزالل

ازداد احمرار وجه «سعادة» وهي تتدلل وتقول:

- يا سلام يا خويا، دلوقتي بقيت غزال؟؟ ما كنت زمان بطبوطك و كلبوطك وكرومبتك يا بكاش.

ابتسم «حلو» بجذلٍ وهو يقترب منها ويحيطها بذراعيه ويقول لها:

- الكلام ده زمان قبل ما نخلف النسائيس اللي نايمة جوة دي، ويعدين برضه الكلام ده قبل ما تخسي بعد الولادة وتنافسي كيم كارديشان يا مزة البحر

الأحمر، اموت أنا في الام بي سي بوليوود بالعربية، والا بالزلاجة حتى بلاش العربية.

قهقهت «سعادة» بجذل وهي تدفعه قائلة:

- بس يا حلو البنات تصحى!!!

رد «حلو» بابتسامة لعوب وهو يجذبها إليه بتودد:

- بنات مين و بتاع مين؟ خلاص ناموا ومحدث حيخلصك من ايدي.

نهضت «سعادة» وهربت من بين يديه واتجهت إلى غرفة نومهما وهي تقول بدلال:

- أنا حدخل أنام يا خويا، خليك بقى قاعد تابع الفيلم.

قفز «حلو» نحو التلفاز فأغلقه بسرعة ثم اتجه إلى قابس النور ليطفئه، وقبل أن يطفئه، وقع نظره على الكتاب فوق المنضدة المجاورة لباب غرفة الفتيات، فهرع إليه وحمله ليضعه باهتمام في مكان خاص وسط مجموعة كتبه المميزة المنتقاة.

ووقف للحظة ينظر إليه ويتسم وهو يقرأ الكلمات التي خُطت فوق كعبه

بحروف عثمانية قديمة وقرأها بصوت خافت:

«حواديت السعادة»

**تمت بحمد الله**





'وعاشوا في ثبات وثبات... وخلفوا صبيان وبنات... وتوتة توتة  
خلصت الحدوتة'

لكن ... في الحقيقة... ولا عاشوا في ثبات وبنات... ولا الحدوتة  
بتخلص...

وهي مسافة خمس سنين وكان هو مصمّم يخلّيها تطلع  
تنضّف سور البلكونة من فوق عشان يزقّها غصب عنه فتنزل  
تندلع على احبال الغسيل قضاء وقدر...

وهي مصمّمة يطلع يغير لُتمض الشقّة المحروقة عشان عارفة  
ان السلك مكشوف وحفتح النور وهو حاطط إيدّه جوة الدّواية...  
هي دي الحقيقة غالبًا...

وبناءً عليه تعالى نشوف سوا إيه اللي محتاج تغيير حقيقي ...  
جواز الحواديت ٢٢٢ والا حواديت الجواز ٢٢٢



شريف أسعد كاتب روائي وقصصي ساخر.. خريج تجارة  
القاهرة.. صدر له كتاب اعترافات جامدة احد الكتب الأكثر  
مبيعا في خلال عام ٢٠١٤.. وله مئات المقالات المنشورة  
في مواقع الصحف المصرية والعربية منذ عام ٢٠١٠.. اهتم في  
مجمّل كتاباته بمعالجة سلايات المجتمع المصري  
بشكل ساخر ولاقي قبولا واسعا.

